بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة

عمـــادة الـــدراسات العليا

كـلــــيــــــة الآداب

قســـم اللغـــــة العربيـــة

الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي (ت1137هـ)

إعداد الباحثة

إلهـــام إسمـــاعيل حـــــرارة

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية – غزة

1434هـ – 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

[سورة الإسراء:**88**]

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى أندى الأنام ... خلاً وفياً

أهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر وعرفان

إن أقل ما يمليه الواجب عليَّ كلمة شكر وتقدير، لمن كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، ومن باب قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...﴾ {النمل:40} فإنني أتوجه بالشكر أولاً لله ﷻ، الذي لولا توفيقه ما خرج هذا البحث إلى النور، فأحمده سبحانه أن يسر لي إتمام هذا العمل المتواضع.

وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ: **(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)**، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير، وعظيم الامتنان إلى مشرفي الفاضل، الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان حفظه الله، الذي بذل الكثير من وقته؛ لنصحي وإرشادي من أجل إثراء هذه الرسالة، وإخراجها في أحسن صورة، حتى خرجت إلى حيز الوجود، فأشكره على صبره، وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، كما أسأل الله ﷻ أن يبارك له في وقته وعلمه.

وأتوجه بالشكر الخالص للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان حفظه الله،،

الدكتور/ محمد شحادة تيم حفظه الله،،

اللّذين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة، مما يثري الرسالة بملاحظاتهما القيمة التي ستزيده رصانة وقوة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية عامة، وكلية الآداب خاصة التي أتاحت لي فرصة الدراسة للحصول على درجة الماجستير، وأخص كل أساتذتي الذين كان لهم فضل التدريس في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

كما وأتقدم بالشكر الخاص لوالديّ الكريمين اللذين منحوني الرعاية والعزيمة حتى أوصلوني إلى ما أنا عليه الآن فلهم كل الشكر والعرفان.

وأشكر كل إخواني وأخواتي وصديقاتي المخلصين، وأخص بالذكر صديقتي العزيزة/ غدي الشوا، فهي نعم من عرفت من صديقة في تقوية عزيمتي وشحذ همتي، فجزاها الله كل خير.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدّم لي عوناً، ومساعدة سواء بمراجعة، أو بتوفير كتاب، أو بإسداء نصيحة طيبة، أو بدعاء في ظهر الغيب.

راجيةً المولى ﷻ أن يبارك فيهم جميعاً، وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

ملخص الدراسة باللغة العربية

الحمد لله الذي جعلني أعايش القرآن الكريم، وأتذوق لطائفه العجيبة التي تسحر الألباب، وأغوص في أسراره البيانية التي تستثير النفوس للاطلاع على حقائق الإعجاز فيه، واستخراج الصور البيانية الكامنة في ثنايا التفسير القرآني.

فدراستي للبلاغة دراسة تطبيقية على القرآن الكريم من خلال تفسير روح البيان، فوضعت عنواناً للبحث بعنوان: "**الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي (ت1137هـ)**".

وقد جعلته في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وكل فصل يحتوي على مباحث عدة.

أولاً: المقدمة، أوضحت فيها عن السبب الباعث لاختيار الموضوع، وبيان خطة السير في هذا البحث.

ثانياً: التمهيد، تحدثت فيه عن المؤلف ونسبه وشيوخه ومكانته العلمية وتفسيره.

ثالثاً: وتناولت فصول الدراسة الأربعة، وهي كالآتي:

الفصل الأول بعنوان البيان في اللغة العربية، وتناولت فيه ثلاثة مباحث، ذكرت في المبحث الأول ماهية البيان في اللغة العربية، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي، أما المبحث الثالث فتطرقت لأهمية الصورة البيانية في التفسير القرآني.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان منهج البروسوي في مسائل علم البيان، وتناولت فيه خمسة مباحث؛ ففي المبحث الأول تحدثت عن التشبيه، والمبحث الثاني تحدثت عن المجاز، أما المبحث الثالث فتحدثت عن الاستعارة، أما المبحث الرابع فذكرت الكناية، وختمت الفصل بالمبحث الخامس الذي تناول موضوع التعريض.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان توجيه القراءات القرآنية بلاغياً عند الإمام البروسوي.

وخاتمة الفصول الفصل الرابع، والذي بعنوان البروسوي في ميزان النقد البلاغي، وقسمته إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول منهج البروسوي في تفسيره، أما المبحث الثاني فتناولت تأثر البروسوي بالعلماء السابقين.

ثم ختمت البحث بالحديث عن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وأتبعت ذلك بأهم المصادر والمراجع التي استخدمتها أثناء كتابتي للدراسة، وقد أيقنت أن كتاب تفسير روح البيان للبروسوي يعد من الكتب التي يمكن الاعتماد عليها في التفسير البلاغي للقرآن الكريم.

Abstract

Thanks for Allah who makes me live with The Holy Quran, taste it's amazing careers which fascinate minds and go through its secrets which woke souls to see the miracles facts in it, and extract the statement images which are disappeared in the Quran interpretation folds.

So my eloquence study is applied on The Holy Quran through "Roh El Bayan" interpretation.

I give my research a title which is : "**The Statement Images in Roh El Bayan Book in The Holy Quran Interpretation, for Ismael Haqqe El Broswe [1137]**"

I made the research in Introduction, preface and four chapters, each one contains some branches:

Firstly: I talked in the introduction about the reason of my choice to this subject with the plan of this research.

Secondly: I talked in the preface about the author and his family, elders, scientific status and interpretation.

Finally: The chapters include four ones:

The first: "The statement in The Arabic Language" Includes three branches:

- The statement case in the Arabic language.
- The statement image in the rhetorical and critical lesson.
- The importance of the statement image in the Quran interpretation.

The second: "El Broswe method in statement issues" includes four branches:

- Simile - Trope - Metaphor - Metonymy - exposure

The third: "The Rhetorical directing of the Quran reading for El Broswe"

The last: "El Broswe in the rhetorical criticism balance" includes two branches

- El Broswe method in his interpretation
- El Broswe be affected with the previous scientists

Finally, I conclude my research with talking about the most important results that I reach to it through my studying.

According to these results I asked for some recommendations to be useful for the learner.

At the end of my research I become sure that "Roh El Bayan" Book is one of the books that are possible to be useful in The Quran rhetorical interpretation

المقدمة:

الحمد لله خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأحاط بعلمه جميع الكائنات، ودبر بمشيته أمر جميع المخلوقات وبسط الأرض، ورفع السماوات، ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: 1-4].

والصلاة على من تبوّأ من الفصاحة ذروتها، وعلى أصحابه نجوم الاقتداء للسائرين الذي قال: "**أنا أفصح من نطق بالضاد**" محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين. وبعد..

إن العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وجاء القرآن متحدياً لهم بإعجازه وبيانه، قال رسول الله ﷺ: "**إن من البيان لسحراً**".

فعلم البيان من أعظم العلوم البلاغية، التي علا قدرها، ومكانها، ووضحت بسحره.

وقد احتلت الدراسات القرآنية مجالاً لا بأس به من علمائنا المخلصين، الذين بحثوا قضية الإعجاز في القرآن الكريم، فألفوا في الإعجاز كتباً كثيرةً، منها على سبيل المثال كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، وكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني، كما ظهرت رسائل في إعجاز القرآن مثل: (بيان إعجاز القرآن) للخطابي، (والنكت في الإعجاز القرآن) للرماني) ، (الرسالة الشافية) للإمام عبد القاهر الجرجاني.

وقد اهتمت كتب التفسير بإظهار الإعجاز القرآني والعناية به والكشف عن معانيه وأسراره، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، ومن هذه الكتب: كتاب (الكشاف للزمخشري) وكتاب (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، وكتاب (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود وغيرها من الكتب ومنها أيضاً كتاب "روح البيان في تفسير القرآن" للإمام البروسوي، والذي أرغب في دراسة الجانب البلاغي فيه.

فلا يزال القرآن الكريم بحراً ذاخراً بأنواع العلوم والمعارف، يحتاج من يرغب الحصول على لآلئه ودرره، أن يغوص في أعماقه، إنه الكتاب المعجز، الذي سيظل يمنح الإنسانية من علومه ومعارفه وأسراره وحكمه، ما يزيدهم إيماناً وإذعاناً بأنه (المعجزة الخالدة) للنبي العربي الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وأنه تنزيل الحكيم الحميد؛ لذلك فقد شرح صدري – بحول الله وقوته – لدراسة الجانب البلاغي في القرآن الكريم وتعلمه.

أسباب اختيار البحث.

1. أرغب أن اجتهد وأواصل المسير في بستان العلم؛ لأجمع منه هذه الباقة العطرة النضرة، لأقدمها لأمتي بكل حب، وابتغاءً للأجر العظيم من الله تعالى.
2. يعد كتاب (روح البيان) للإمام البروسوي واحداً من كتب التفسير التي تستحق الدراسة من الناحية البلاغية.
3. إظهار الصفحة المشرقة في تراثنا، لما يحتويه من شتى أصناف المعرفة، ومن هذه الأصناف بلاغة القرآن وإعجازه.
4. إبراز أهمية التصوير البياني في نقل المعاني.
5. يساعد هذا البحث على إثراء المكتبة العربية من الناحية البلاغية في مجال تطبيق الدرس البلاغي.
6. كما أن هذا الكتاب يعد موسوعة علمية ضخمة تستحق منا الدراسة والتنقيب.

منهج البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة المسائل البلاغية عند البروسوي من خلال تفسيره روح البيان، وبالنسبة لآلية الدراسة تتمثل في استقراء القضايا البلاغية ورصدها، ومن ثم تصنيفها، وتحليلها، ومناقشتها، وقياسها بما ورد عند العلماء، وهذا حسب ما سيأتي في خطة البحث.

خطة البحث:

المقدمة.

التمهيد: وتناولت فيه الحديث عن حياة البروسوي، اسمه، ونسبه، ومولده، وعصره، وحياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، ومكانته العلمية، وآثاره العلمية، ووفاته، أسلوبه العام في تفسيره.

الفصل الأول

البيان في اللغة العربية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماهية البيان في اللغة العربية.

المبحث الثاني: الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي.

المبحث الثالث: أهمية الصورة البيانية في التفسير القرآني.

الفصل الثاني

منهج البروسوي في مسائل علم البيان

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجاز.

المبحث الثالث: الاستعارة.

المبحث الرابع: الكناية.

المبحث الخامس: التعريض.

الفصل الثالث

توجيه القراءات القرآنية بلاغياً عند الإمام البروسوي.

الفصل الرابع

البروسوي في ميزان النقد البلاغي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج البروسوي في تفسيره.

المبحث الثاني: تأثر البروسوي بالعلماء السابقين.

الخاتمة: واشتملت على أهم نتائج وتوصيات البحث.

الفهارس: واشتملت على فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

فيما يتعلق بهذا الموضوع وهو "الإشارات البلاغية في كتابة روح البيان في تفسير القرآن" فيما أظن لم يسبق إلى دراسة هذا الكتاب دراسة بلاغية عدا واحدة منها، عثرت عليها في الشبكة العنكبوتية وهي بعنوان: للبروسوي، محمد نصيف، رسالة مباحث المعاني في تفسير روح البيان، ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

وهناك دراسات غير مباشرة أضاءت لي الطريق وهي:

1. منهج البروسوي في تفسيره روح البيان للطالبة صفية بنت شمس الدين، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
2. الصورة البيانية في أحاديث الغيب (دراسة بلاغية موضوعية في الصحيحين) الطالبة جواهر زحبي محمد الزهراني، إشراف حمد علي الشافعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
3. الصورة البيانية في شعر أبي الحسن التهامي، دراسة بلاغية نقدية، أحمد يحيى إبراهيم عواف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير.
4. الاتجاه البياني في الدرس البلاغي القرآني الحديث، أحمد عويز حسين، جامعة الكوفة. رسالة ماجستير.
5. الصورة البيانية في مزرعة الحيوان لجورج أورويل نموذجاً، دراسة تحليلية مقارنة، جامعة الجزائر. رسالة ماجستير.

التمهيد

اسمه ونسبه :-

هو إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي المذهب، الجلوتي الطريقة، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر، تركي مستعرب، "وقد ذكر المترجم له في طرة بعـض مجاميعـه بخطه أن أصل أسرته من السادات على ما سمعه من والده، ووالده هو مصطفى بن بيرم بن شاه خدا بنده".[1]

مولده ورحلاته :-

ولد في آيدوس (Aidos) من بلاد بلغاريا الآن، سنة 1063هـ، وتلقى مبادئ العلوم في بلده، وبلدة (شمنى)، ثم رحل إلى اسطنبول، ولازم الشيخ عثمان الفضلي المعروف بالآتبازاري، وتخرج في العلوم لديه، ثم ذهب إلى مصر فتلقى من الشيخ إبـراهيم البرمـاوي الأزهـري، فاستجازه فأجازه، ثم رحل إلى دمشق، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الباقي الحنبلي، فاستجازه فأجازه.

واجتمع هناك بالشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله، وجرت بينهما بعض المناقشات في التصوف، ثم عاد إلى اسطنبول واشتغل بالوعظ والتذكير والإرشاد هناك، ثم تنقل في كثير مـن البلاد العثمانية، وأقام مدة في (أسكلوب) في ألبانيا، ومدة أخرى في (تكفـور الطـاغي) قـرب الدردنيل، ثم ألقى عصا التسيار في مدينة "بروسة" أقدم عاصمة للدولة العثمانيـة، وبنـى بهـا خانقاها، وانصرف فيه إلى التأليف، والإرشاد، والوعظ، والتذكير إلى أن تـوفي هنـاك سـنة 1137هـ، ودفن في خانقاها قرب (طوز بازاري) -سوق الملح - في وسط المدينة المذكورة.[2]

مكانته العلمية ومؤلفاته :-

وُصف بأنه العالم، المفسر، الأصولي، الفقيه، المتكلم، الصوفي، الواعظ، الشيخ، وممـا يظهر مكانته العلمية كثرة مؤلفاته، فقد ذُكر أن له ما يزيد على مائة مؤلف، وذكر الكوثري قريباً

(1) مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، ص 419.
وانظر الأعلام، للزركلي، ج 1، دار العلم للملايين – بيروت، ط5، 1980م، ص 313.

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطي الرومي الحنفي. المجلد الخامس، دار الفكر – بيروت، 1994م، ص528.

من أربعين مؤلفاً منها، وقال فيه : "إنه كان واعظاً، أصولياً، فقيهاً، طويل النفس في بحوثه على تساهل منه في النقل من كل كتاب، زاهداً، ورعاً للغاية".[1]

ومن مؤلفاته: له كتب عربية وتركية، فمنها روح البيان في تفسير القرآن أربعة أجزاء، والرسالة الخليلية في التصوف، وشرح الأربعين النووية، شرح المثنوي، وله ديوان مطبوع. [2]

تفسيره وسبب تأليفه :-

تفسير روح البيان من التفاسير الشهيرة التي نالت استحسان كثير من العلماء في البلاد الإسلامية، وهو يعد موسوعة كبيرة ضخمة، ذكر فيها الشيخ كثيراً من الراويات والأخبار، والحكم والعظات، والقصص إلى جانب التفسير، وظهرت غزارة علمه الواسع باللغة العربية، وسعة اطلاعه باللغة الفارسية والتركية، وقد حشد في كتابه أقوالاً وأشعاراً كثيرة باللغة الفارسية، وممن تكلم عن التفسير من ناحية أسلوبه ومنهجه الكوثري حيث قال: "في أربعة مجلدات ضخام، للوعاظ شغف عظيم به، لما فيه من الحكايات المرققة للقلوب، وفيه نقول كثيرة عن كتب فارسية، وفيه كثير من إشارات الصوفية، بل يكثر النقل فيه من التأويلات النجمية لصاحب منارات السائرين، وفيه أيضاً من وجوه البيان ما تستلذه الأسماع، إلا أنه لا يتحاشى عن النقل عن كل من هب ودب على غلوه في وحدة الوجود".[3]

سبب تأليفه:-

ذُكر أنه لما أشار إلى المؤلف شيخه ابن عدنان نزيل القسطنطينية بالنقل إلى مدينة بروسة سنة 1066 هـ، ولم يجد بداً من الوعظ والتذكير في الجامع الكبير، وكان معه ببعض ديار الروم بعض صحائف ملتقطة من صفحات التفسير، لكنها مع الإطناب الواقع فيها كانت متفرقة، لخَّصها وضم إليها نبذاً مما سنح له من المعارف[4]، وقد فرغ من تأليفه سنة 1117هـ.[5]

(1) مقالات الكوثري: محمد زاهد الكوثري، ص 419، 420، وينظر روح البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، ضبطه وصححه وخرَّج آياته عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2003م ، ص3-4.

(2) معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إلياس سركيس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر 1919م، ص441 -442.

(3) مقالات الكوثري: محمد زاهد الكوثري، ص 422.

(4) معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إلياس سركيس ج1، ص 442

(5) المكتبة الأزهرية (فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى سنة 1364هـ ، 1945م ،ج1 ص233.

وقد اختصر تفسير روح البيان الشيخ محمد علي الصابوني، وسمى مختصره تنوير الأذهان من روح البيان. [1]

عقيدته وتصوفه :-

هو المولى أبو الفداء إسماعيل حقي من علماء أول القرن الثاني عشر الهجري[2]، وكان من الصوفيين الكبار الذين يدافعون عن الصوفية، وكان يسير على نهج الطريقة الجلوتية، والمذهب الحنفي، وتتجلى عقيدته في تفسيره، وتأويله لكثير من آيات الصفات على طريقة الرازي. [3]

وبهذا كان الشيخ إسماعيل حقي من المشايخ الصوفيين الكرام ، الذين يتصفون بالورع والزهد، فهو عالم فقيه، رجل كثير المعرفة، واسع الثقافة، قوي الإيمان، رحب العقل والتفكير، لذلك تزاحمت عليه الأفكار، فحشد كل ما استطاع أن يكتب مما جال بفكره في تأليفه، وهذا مما أفقده التنظيم العلمي، والمتمعِّن في تفسيره يجد منهجه يتبع أسلوب الاستطراد، لذلك يعد تفسير روح البيان موسوعة ضخمة، وأنه كثير الفوائد، جم المنافع، لِما اشتمل عليه من غزارة التفسير، والقصص اللطيفة المرققة للقلوب، وما أحصاه من الحِكَم الرائعة، والعظات البارعة، وما حواه من وجوه البيان، واللغة، والإعراب.

(1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان تأليف الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، ج1 دار القلم – دمشق، ط1 ،1988م ص5.
(2) المكتبة الأزهرية، ج1 ص233
(3) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، تأليف الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغرواي، مؤسسة الرسالة ، دار القرآن ، ط1 ، 2000م ، ص 1247.

الفصل الأول

البيان في اللغة العربية

المبحـــث الأول: ماهية البيان في اللغة العربية.

المبحث الثاني: الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي.

المبحث الثالث: أهمية الصورة البيانية في التفسير القرآني.

المبحث الأول

ماهية البيان في اللغة العربية

البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها "وبان الشيء: اتضح فهو بَـيّن، واستبان الشيء: ظهر، والبيان الفصاحة واللسن، كلام بيِّن: فصيح. والبيان الإفصاح مع ذكاء والبيِّن من الرجال: الفصيح والسمع اللسان.

وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً، والبيان إظهار المقصود أبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم، وذكاء القلب مع اللسان، وأصله الكشف والظهور (1)

وقد أشار القرءان الكريم إلى البيان إشارات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِين﴾ [آل عمران: 138] وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ القُرْآنَ. خَلَقَ الإِنسَانَ.عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4] وفي الحديث الشريف قوله ﷺ:(**إن من البيان لسحراً**). (2)

ولعل الجاحظ كان أسبق علماء اللغة العربية إلى النظر في معنى البيان، حيث سمى أحد كتبه البيان والتبيين، وتحدث فيه عن البيان، ولعل تعريف جعفر بن يحيي الذي ذكره الجاحظ كان من أقدم ما دوِّن، حيث قال: (ثمامة: قلت لجعفر بن يحيي ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً عن الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل، وهذا هو تأويل قول الأصمعي: (البليغ من طبَّق المَفصِل وأغناك عن المفسَر). (3)

والبيان عند الجاحظ هو الكشف والإيضاح والفهم، قال: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهَتَكَ الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر، والغاية

---

(1) معجم لسان العرب، ابن منظور، مادة بين ج 13 الطبعة الأولى سنة 2003م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ص 79. وانظر معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبوعمرو، دار الفكر، الطبعة الثانية 1998، ص 16.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، 1963 ص174.

(3) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق درويش جويدي، ج1المكتبة العصرية صيدا، بيروت 2008م ج1 ص 73، عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج2، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص173.

التي يجري إليها القائل والسامع ! إنما هو الفهم، والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع. (1)

والبيان عند الرماني الإحضار لما يظهر به تميز الشيء عن غيره من الإدراك. (2)

والبيان عند ابن رشيق قال: "البيان: الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقلة، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان".(3)

وعدّ عبد القاهر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً، وهو التعبير عن فضل القائلين على بعض، من حيث نطقوا، وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض، والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم.(4)

والبيان عند السكاكي قال : "أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه". (5)

وقد عرف القزويني البيان بقوله: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة".(6)

واخذ البيان عند السكاكي والقزويني طابعاً علمياً، وأصبح يدل على التشبيه، والمجاز، والكناية، بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلها عند المتقدمين.

فالبيان ملكة يهبها الله لمن يشاء من عباده، وهو الإفصاح، وإظهار المقصود، والكشف عن المعاني المكنونة.

ويشمل علم البيان الموضوعات الآتية: التشبيه، والمجاز بأنواعه؛ كالمجاز العقلي، والمجاز المرسل، والاستعارة، ثم الكناية، والتعريض.

---

(1) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق درويش جويدي، ج1، ص56

(2) النكت في إعجاز القرآن، أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، عنى بتصحيحه الدكتور عبد العليم، مكتبة الجامعة الملية الإسلامية، دهلي، 1934م، ص26.

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل، ط5، 1981م، ص 254

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط3 1992م، ص43.

(5) مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، المطبعة مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، ص 140.

(6) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني. دار الكتب العلمية – بيروت، ص215.

المبحث الثاني

الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي

مفهوم الصورة البيانية:

الصورة من حيث الدلالة المعجمية، يدل لفظ الصورة على معان عدة، أهمها: (1)

الشكل المجسم، والأشياء القابلة للرؤية البصرية، وبهذا المعنى استخدمها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 7-8]

وظهرت الصورة عند عبد القاهر الجرجاني أنها تمثيل وقياس يقول: "واعلم أن قولنا (لصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين، وبينه في الآخر بينونة في هذا صورة غير صورته في ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ : "وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير".(2)

ويعرف سيد قطب التصوير الفني في القرآن كما يقول:" تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل". ويوضح أكثر حينما يضيف قائلاً: "وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان". (3)

ويعرفها عبد القادر القط أنها: "الشكل الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة، وإمكانياتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني. (4)

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، باب صور.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 508.

(3) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق ص 33.

(4) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القاهر القط، مكتبة الشباب، 1978م، ص435.

ويرى جابر عصفور أن الصورة "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أياً كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه". (1)

وفي ضوء كل ما سبق أعتقد بأن تعريف عبد القادر القط أقرب التعريفات للصورة، لقد اشتمل على جميع وسائل التعبير البياني، ودورها في تشكيل الصورة.

ويمكن القول بأن الصورة البيانية تعني: الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربته، مستخدماً طاقات اللغة، ودلالتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان، وإحساسه، ووجدانه، وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس، ويكون ذلك بالمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والتعريض.

تطور الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي

لقد بدأ البحث البلاغي في مرحلته الأولى ممتزجاً بالنقد الأدبي، ويعد الجاحظ أول من أسس علم البيان، ومهد الطريق لمن بعده، فقد خطا خطوة مبدعة في ملاحظاته البلاغية، وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، ألم يسمِّ الجاحظ أعظم كتبه "البيان والتبيين" وعرف البيان أنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويلم بما فيه. (2)

ثم جاء من بعده متأثراً به ابن قتيبة الدنيوري، ففي كتابه (تأويل مشكل القرآن) يتحدث فيه عن إعجاز القرآن الكريم، ثم ينتقل إلى الحديث عن أساليب البيان العربي؛ من حقيقة، ومجاز، وتشبيه، واستعارة، وكناية، وقد عقد باباً للاستعارة يقول فيه "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً لها أو مشاكلاً".(3)

ويأتي من بعده أبو العباس المبرد بكتابه الكامل، فإن المبرد عرج فيه عن علم البيان عند شرح النصوص الأدبية من مجاز، واستعارة، وكناية، وتشبيه. (4)

---

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م، ص 323.

(2) البيان والتبيين، الجاحظ ج1، ص 56.

(3) تأويل مشكل القرآن، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م، ص135.

(4) ينظر الكامل، أبو العباس المبرد، تحقيق الدكتور زكي مبارك، القاهرة، 1936م. ص401.

وكان لرأي الجاحظ في معنى البيان صداه عند الرماني، في القرن الرابع الهجري، فقد تحدث الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) عن اثنين من أقسام علم البيان؛ هما التشبيه والاستعارة، وقسم الرماني البيان أربعة أقسام؛ كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، والكلام كلامين؛ كلام يظهر معناه، ويتميز عن غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر معناه، ولا يتميز عن غيره، ولا يفهم به معنى فليس ببيان.(1)

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت في القرن الرابع الهجري دراسات نقدية على أسس بلاغية تعرض فيها أصحابها إلى مباحث علم البيان منها :

الآمدي:

أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري المتوفى سنة 370 هـ، فقد عني الآمدي بعلم البيان من خلال الباب الذي عقده لما عيب من الاستعارة عند أبي تمام، فيذكر القبيح من استعارات أبي تمام، فيقول : "إن الاستعارة إشارات عامة من غير تحديد لها، كقوله وإنما استعارات العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه، أو يدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه". (2)

القاضي الجرجاني:

من كتب الدراسات النقدية على أسس بلاغية كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) لأبي الحسن على بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني.

فإن الجرجاني قد تكلم عن الاستعارة بتوسع، وفرق بينها وبين التشبيه البليغ فيقول: "فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر، وقد قدمنا عند ذكر البديع نبذاً منها مثلنا بها المستحسن والمستقبح، وفصلنا بين المقتصد والمفرط، وقد كانت الشعراء تجري على نهج منها قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيها أبو تمام، ومال إلى الرخصة فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة. وأكثر هذا الصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأتمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه مما يميز

---

(1) ينظر كتاب النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ص26.

(2) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، ج1، دار المعارف، ط4، 1992م، ص 266.

بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب وبنوه، وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلطه ".[1]

ولعلنا ندرك من قول الآمدي والجرجاني أنهما يلتقيان في الحكم على جودة الاستعارة، أو رداءتها يرجع إلى الذوق المكتسب بالمران والنظر في أقوال الشعراء المجيدين أكثر مما يرجع إلى القواعد التي وضعها لذلك علماء البيان.

ابن رشيق القيرواني :

يعد كتاب العمدة لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني من الدراسات النقدية على أسس بلاغية، في القرن الخامس الهجري.

وقد أسهم هذا الكتاب في تطوير علم البيان، فقد عرض فيه بشيء من التفصيل لفنون علم البيان، من مجاز، واستعارة، وتشبيه، وكناية، وتحدث عن المجاز بأن العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وعدّ ابن رشيق المجاز أبلغ من الحقيقة، ورأس البلاغة، وأكثر وقعاً في القلوب والأسماع، وجعل التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام التي تنطوي تحت المجاز. [2]
وتحدث عن "التشبيه والاستعارة يخرجان الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانا".[3]

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري:

من كتب الدراسات النقدية التي أسهمت في تطوير الأسس البلاغية "كتاب الصناعتين" وهو لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، فأبو هلال في كتابه يدرس البلاغة دراسة دقيقة، يمزج من علمه بها وعلم من سبقوه إليها، ويكثر من الأمثلة والشواهد، وفي الباب الأول تحدث عن موضوع البلاغة وشأنها، ويقرر أن العلم بها ضروري لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، والتمييز بين جيد الكلام ورديئه.

وأفرد باباً في التشبيه من فصلين، تحدث في أولهما عن حد التشبيه، ووجوه التشبيه المختلفة، وأدوات التشبيه.

وفي الفصل الثاني تحدث عن قبح التشبيه وعيوبه، مثل خطأ التشبيه الكريه، والتشبيه الرديء اللفظ، وبعيد التشبيه، والتشبيه المتنافر. [4]

---

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006، ص355-365.
(2) ينظر العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج1، ص266.
(3) المرجع السابق، ج1، ص 287.
(4) كتاب الصناعتين، للكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006، ص213-231.

أما الاستعارة فعقد لها فصلاً، وتكلم فيه عن الاستعارة، والمجاز، والغرض من الاستعارة، وفضل الاستعارة على الحقيقة، والاستعارة أبلغ من الحقيقة. (1)

وأبو هلال لا يخفى تأثره بالجاحظ، وإعجابه بكتابه، واقتباسه الكثير منه، ولكنه يشير إلى أن يأخذه على منهجه بقوله: "إن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير، فرأيت أن أُجمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه".(2)

وقد عدَّ أبو هلال الكناية والتعريض ضمن فنون البديع، مع أنها من مباحث علم البيان.(3)

عبد القاهر الجرجاني :

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، صاحب كتاب "أسرار البلاغة" الذي وضع فيه نظرية علم البيان، وكتابه "دلائل الإعجاز" الذي وضع فيه نظرية علم المعاني.

وكتاب أسرار البلاغة يعد من أصول علم البيان من حقيقة ومجاز، واستعارة، وتشبيه، وقد استوفى الكلام عن مباحث علم البيان في كتابه الآخر "دلائل الإعجاز"، كما عرض فيه لبعض الجوانب من الاستعارة، وللمجاز العقلي، وتحدث عن بيان فضل علم البيان قائلاً : "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة ولما استبنت لها يد الدهر صورة." (4)

ولهذا يعد عبد القاهر واضع أسس البلاغة العربية، والمحدد لأركانها، المبدع في طريقه التي تجمع بين العلم والعمل الذي يثبّت به العلم، لأنه يذكر عبد القاهر القاعدة ثم يردفها بالأمثلة والشواهد التي توضحها.

---

(1) كتاب الصناعتين، للكتابة والشعر، أبي هلال العسكري، ص240-243

(2) المرجع السابق، ص10

(3) المرجع السابق، ص334.

(4) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ص5-6.

وعبد القاهر رسم منهاجاً علمياً منظماً في البلاغة، ورتبها ترتيباً منطقياً بدا فيه من العام قبل الخاص، وبالأصل يتلوه الفرع، وجمع فيه مباحث علم البيان بعضها إلى بعض، حيث يقول: "واعلم أن الذي يوحيه ظاهر الأمر، وما يسبق إليه الفكر أن نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز، ونُتبعَ ذلك القول في التشبيه والتمثيل، ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهما، ونأتي بها في أثرهما، وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة والواجب في قضايا المراتب أن نبدأ بالعام قبل الخاص.

(والتشبيه) كالأصل في الاستعارة، وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره، إلا أن (هناك) أموراً اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة وبينا صدر منها، والتنبيه على طريق الانقسام فيها، حتى إذا عُرِّف بعض ما يكشف من حالها، ويقف على سعة مجالها، عُطِف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين، فوفي حقوقهما، وبُيِّن فروقهما، ثم ننصرف إلى استقصاء القول في الاستعارة". (1)

<u>الزمخشري :</u>

ظهر الزمخشري بعد عبد القاهر الجرجاني، وله أثر كبير في نهضة البلاغة العربية، وهو صاحب كتاب الكشاف، فهو يقرر أن تفسير القرآن لا يكفي فيه أن يكون المفسر من أئمة الفقه، أو النحو، أو اللغة، وإنما ينبغي أن يكون بارعاً في علمين مختصين بالقرآن هما: علم المعاني، وعلم البيان.

حيث يقول في مقدمته: "علم التفسير لا يتم لتعاطيه وإحالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب (نظم القرآن) فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلِّم وإن برز على أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ على القصص والأخبار، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان". (2)

---

(1) أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص21-22.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق تعليق ودراسة الشيخ أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن حجازي، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ص96.

والحقيقة أن الكشاف يعد خير تطبيق على كل ما اهتدى إليه عبد القاهر من قواعد المعاني والبيان، ولم يكتف بذلك؛ إنما تتجلى فطنته في تصوير الدلالة البلاغية، والإضافات التي استكملت صور الكناية، والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي.

السكاكي :

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفي سنة 626 للهجرة، جاء السكاكي ليستقصي القواعد البلاغية التي أسسها عبد القاهر، وأفكار البلاغيين من قبله، فجمع منثورها في كتابه (مفتاح العلوم)، وقد قسمه ثلاثة أقسام رئيسة، القسم الأول: علم الصرف والاشتقاق بأنواعه، والثاني: علم النحو، والثالث: علم المعاني وعلم البيان، وألحق بهما مبحثاً عن البلاغة والفصاحة، وآخراً عن المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. [1]

وما يعنينا هنا ما أورده عن مباحث علم البيان الذي تناول فيه التشبيه وطرفاه، ووجهه، والغرض منه، المجاز وأقسامه، الاستعارة وأقسامها، وأخيراً ينتقل إلى الكناية وأقسامها، ويفرق بين الكناية والمجاز. [2]

والذي يدرس بإمعان كتاب مفتاح العلوم يجد أن السكاكي صاغ علم البيان صياغة عقلية علمية منطقية ليجمع قواعده ويضع معالمه، ولم يدخل السكاكي على مباحث علم البيان مباحث جديدة تثريه حتى يستمر نموه وتطوره، وبذلك دخلت البلاغة في عهد السكاكي في طور الجمود والجفاف.

ابن الأثير:

ضياء الدين بن الأثير المتوفي سنة 637 هـ، صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

وقد بنى ابن الأثير كتابه على مقدمة ومقالتين: المقدمة تعالج أصول علم البيان، والمقالة الأولى في الصناعة اللفظية، والمقالة الثانية في الصناعة المعنوية. [3].

ويقول ابن الأثير موضحاً منزلة علم البيان: "فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام". [4]

---

(1) ينظر مفتاح العلوم، السكاكي، ص 150- 169.

(2) المرجع السابق، ص 150- 169.

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محمد محيي عبد الحميد، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1939، ص5.

(4) المرجع السابق، ج1، ص3.

ومما يعنينا من كتابه هو المساهمة العلمية التي أسهم بها في نمو وتطوير مباحث علم البيان، التي عدها من الصناعة المعنوية هي: الاستعارة، والمجاز، والتشبيه، والكناية، والتعريض.

وبلا شك أن طريقة ابن الأثير التي سلكها في معالجة المباحث البيانية تخالف طريقة السكاكي التي يغلب عليها المنطق.

الخطيب القزويني:

العلامة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفي سنة 739هـ صاحب كتاب شاعت شهرته هو (التلخيص) الذي لخص فيه القسم الثالث من كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي، والخطيب القزويني لم يكتف بذكر آراء السكاكي، إنما أضاف إليه من آرائه وآراء من سبقوه.

وما يهمنا من كتاب تلخيص المفتاح هو معرفة مباحث البيان التي وردت فيه، يقسم مباحث علم البيان ثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية. فقد استبعد الخطيب القزويني في تلخيصه لكتاب (مفتاح العلوم) تعقيد السكاكي وشرح غامضه بالأمثلة، وأضاف إليه بعض الفوائد، ورتب مباحثه ترتيباً واضحاً، تشتمل على مقدمة في الفصاحة والبلاغة، وثلاثة فنون: الفن الأول عقده لمباحث (علم المعاني)، والثاني لمباحث (علم البيان)، والثالث لمباحث (علم البديع).

وما يهمنا هنا من كتاب تلخيص المفتاح هو علم البيان، فإننا نجد القزويني يعرّف علم البيان أنه "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة".[1]

وينتقل إلى التشبيه وأركانه ومن ثم تحدث عن مبحث الحقيقة والمجاز، ويعرف الحقيقة "هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب".[2]

ثم ينتقل إلى تقسيم الاستعارة إلى مطلقة، ومجردة، ومرشحة، والاستعارة التمثيلية وهذا النوع سماه القزويني "التمثيل على سبيل الاستعارة" عندما قال "وقد يسمى التمثيل مطلقاً، متى فشا استعماله كذلك سمي مثلاً".[3]

(1) كتاب تلخيص المفتاح، تأليف الإمام العلامة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، طبع في بيروت، 1302هـ، ص53.
(2) المرجع السابق، ص64.
(3) المرجع السابق، ص70.

وقد عقد الخطيب القزويني فصلاً للاستعارة المكنية قال: "قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى المشبه به، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية، أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر المشبه استعارة تخييلية." (1)

وتحدث في المبحث الأخير من مباحث علم البيان عن الكناية فيعرفها "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معناه".(2)

ثم يضع لكتاب التلخيص شرحاً سماه (الإيضاح) يفصل فيه ما أجمله في التلخيص، مضيفاً إليه آراء عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسكاكي، وفي ذلك يقول في مقدمة الإيضاح: "هذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بالإيضاح، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته (تلخيص المفتاح)، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المُشَكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذبتها ورتبتها حتى استقر كل شيء في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكره، ولم أجده لغيره".(3)

يحيى بن حمزة :

من علماء البلاغة يحيى بن حمزة العلوي اليمني المتوفي سنة 749 للهجرة، وصاحب كتاب "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز".

يتحدث عن تفسير علم البيان وماهيته ومنزلته من العلوم، وثمرته ثم ينتقل إلى ذكر الحقيقة والمجاز وبيان أسرارها، ثم يعرض بحثاً في بيان ماهية الاستعارة وأقسامها، ومن الاستعارة ينتقل إلى بيان ماهية التشبيه وأقسامه، وأخيراً يتحدث عن الكناية ويعقد فصلا عن ماهية التعريض، ويسوق فيه ما ذكره ابن الأثير وهو "أنه اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي، ولا المجازي." (4)

ويذكر أيضاً التفرقة بين التعريض والكناية.

---

(1) كتاب تلخيص المفتاح، القزويني، ص70.

(2) المرجع السابق، ص75.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، القزويني، ص3.

(4) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، تحقيق الشربيني ثريدة، دار الحديث، القاهرة، 2010، ص 294.

فهذا عرض لبيان تطور الصورة البيانية لدى البلاغيين والنقاد، لقد ظلت تستخدم كلمة البيان بمعنى عام، قريب من مصطلحات البلاغة والفصاحة، ثم بدأت تتضح معالمها، وتظهر في عهد عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، ومن جاء بعده من البلاغيين والنقاد الذين أسهمت جهودهم في تطويرها من ملاحظات بيانية إلى علم بلاغي قائم بذاته.

وبذلك ندرك أن علم البيان يقتصر في دلالته على التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، والتعريض، وهذه الدلالة تنطوي تحت مصطلح الصورة البيانية الذي يبدو أكثر استخداماً في لغة النقد الحديث.

المبحث الثالث

أهمية الصورة البيانية في التفسير القرآني

الصورة البيانية ترسم المعاني بصورة حسية موحية مؤثرة في النفوس، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الصورة الفنية مرسومة بتناسق فني معجز، تخاطب الحس والوجدان خطاباً علمياً مؤثراً موحياً، والتعبير القرآني يرتقي بالصدق الفني في رسم الصور والمشاهد القرآنية وعرضها وإخراجها، حتى يفوق كل أساليب العرض الفني البشرية، ويقول سيد قطب: "الصدق الفني، إبداع في العرض، وجمال في التنسيق وقوة في الأداء"[1]

وبذلك تُبرزُ الصورة البيانية الجمال الفني في القرآن الكريم للاطلاع على أسرار البيان فيه، ومعرفة معجزة رسول الله ﷺ كتاباً مبيناً، المعجز بنظمه وبيانه، إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز علم البيان، والاطلاع على غوره. [2]

لقد استخدم القرآن الكريم طريقة التصوير في نقل المعاني الذهنية إلى معانٍ حسية، وعندما يقرأ القارئ آية من الآيات يرتسم المعنى في خياله، ويصبح صورة شاخصة حية متحركة متناسقة للمعنى.

يقول سيد قطب: "التصوير في القرآن تصوير حي، منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة". [3]

الصورة البيانية توجز التعبير في كلمات قليلة، غزيرة الدلالة عميقة الإيحاء. يقول سيد قطب في الظلال: "إنها حشود وحشود من الصور، والظلال، والمشاعر، والأحوال، تنبثق من هذه الكلمات القلائل، وتتراءى الحس والشعور، وتظل حشود منها تنبثق من خلاله كلما زاد رصيد النفس من التجارب". [4]

صور القرآن الكريم الحوادث الواقعة، ومشاهد الطبيعة، ومشاهد العذاب والنعيم يوم القيامة، في صورة مادية محسوسة؛ لترسيخ المعاني في أعماق النفس.

---

(1) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص207.

(2) ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1 ، ص41.

(3) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص33.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي بمصر، ط2، ص 3416.

ومن مشاهد العذاب المادي المحسوس : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.[النساء: 56]

يعبر سيد قطب عن المشهد العنيف المرعب قائلاً: "إنه مشهد لا يكاد ينتهي، مشهد شاخص متكرر يشخص له الخيال ولا ينصرف عنه، إنه الهول، وللهول جاذبية آسرة قاهرة، والسياق يرسم ذلك المشهد ويكرره بلفظ واحد... (كُلّمَا) ويرسمه كذلك عنيفاً مفزعاً بشطر جملة (كُلّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ).... ويرسمه عجيباً خارقاً للمألوف بتكملة الجملة.. (بَدّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا).. ويجمل الهول المفزع العنيف في جملة شرطية واحدة لا تزيد". (1)

يرسم القرآن صوراً من النماذج الإنسانية، فيها الحياة والحركة، يقول سيد قطب: "في سهولة واختصار، فما هي إلا جملة أو جملتان حتى يرتسم (النموذج الإنساني) شاخصاً من خلال اللمسات، وينتفض مخلوقاً حياً خالد السمات".(2)

ومنها: نموذج إيماني في عزة النفس وعفتها، يرسمه قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ [البقرة: 273].

إنها صورة موحية مؤثرة، يقول سيد قطب في ظلاله: "وهي صورة كاملة ترتسم على استحياء، وكل جملة تكاد تكون لمسة ريشة، ترسم الملامح والسمات، وتشخص المشاعر والانفعالات، وما يكاد الانسان يتم قراءتها حتى تبدو له تلك الوجوه، وتلك الشخصيات، كأنما يراها". (3)

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2 ، ص 683 -684.
(2) التصوير الفني، سيد قطب، ص175.
(3) في ظلال القرآن :ج1، ص 316.

الفصل الثاني
منهج البروسوي في مسائل علم البيان

المبحــث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجــاز.

المبحث الثالث: الاستعارة.

المبحث الرابع: الكناية.

المبحث الخامس: التعريض.

المبحـــث الأول

التشبيه

تعريف التشبيه :-

التشبيه لغة: "الشبه والشبه: المثل، وأشبه الشيء: ماثله، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه علـــي، وتشابه الشيئان ما اشتبها، أشبه كل واحد منهما صاحبه والتشبيه المثيل".(1)

والتشبيه في اصطلاح البلاغيين له تعريفات عدة، منها:-

ابن رشيق يعرفه بقوله : "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهـــة واحـــدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم "خد كـــالورد " إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها".(2)

وأبو هلال العسكري يعرفه بقوله:- "التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب منـــاب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه".(3)

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله: "التشبيه هو الدلالة على مـــشاركة أمـــر لأمـــر فـــي معنى".(4)

وما ذكره المبرد بقوله: "واعلم أن للتشبيه حداً، فالأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين مـــن وجوه، وإنما ينظر للتشبيه من حيث وقع". (5)

وهذا ما ذكره قدامه في تعريفه للتشبيه إذ يقول: "إن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما، ويوصفان بهـــا، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كـــذلك فأحـــسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات، أكثر من انفرادهما فيها". (6)

---

(1) لسان العرب: (شبه).
(2) العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج1، ص 286.
(3) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص213.
(4) الإيضاح، القزويني، ص217.
(5) الكامل، المبرد، ج3، ص766.
(6) نقد الشعر – قدامه بن جعفر، تحقيق البروفيسور : س أ بونباكر – مطبعة بريل لندن، 1956م، ص122.

وقد عرف السكاكي التشبيه تعريفاً شاملاً ذكر فيه المشبه والمشبه به ووجه الشبه فقال: "إن التشبيه مستدع طرفين: مشبهاً، ومشبهاً به، واشتركا بينهما في وجه، وافترقا من آخر".[1]

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن هذه التعريفات تشترك في مضمون واحد، وعليه يكون التشبيه (الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة والمقدرة).[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التمثيل نوع من أنواع التشبيه، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، وكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً" [3]

وقد ذكر البروسوي التمثيل في تفسيره يقول: "فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الأبي كيف لا يلطف، وهو إبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف، وإراءة للخيل محققاً والمعقول محسوساً، وتصوير للمعاني بصورة الأشخاص، ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد".[4]

فالتشبيه يختص بالإيضاح والبيان، ويعد أبلغ قواعد البلاغة؛ لأنه يشتمل على إخراج الخفي إلى الجلي، وإظهار الوحشي في صورة المألوف.

أركان التشبيه:

يرى علماء البلاغة أن للتشبيه أربعة أركان: [5]

1- المشبه.

2- المشبه به.

3- الأداة.

4- وجه الشبه.

---

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1317هـ، ص177.

(2) من بلاغة القرآن، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998، ص149.

(3) كتاب أسرار البلاغة، ص75.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص68.

(5) من بلاغة القرآن الكريم، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، ص149.

والأركان الأربعة المذكورة تنحصر في ثلاثة أقسام وهي: طرفا التشبيه، الأداة، وجه الشبه.

وقد تناول البروسوي هذا المبحث من مباحث علم البيان، فبين أنواع التشبيه وبلاغتــه، وهذا ما سنوضحه من خلال تفسير الآيات التي اشتملت على هذا المبحث.

أولاً : التشبيه باعتبار الطرفين. (1)

ينقسم التشبيه من حيث الطرفين إلى قسمين:

الأول: باعتبار المحسوس والمعقول.

الثاني: باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد.

القسم الأول : باعتبار المحسوس والمعقول إلى أربعة أقسام :-

1-تشبيه المحسوس بالمحسوس :-

والمراد بالحسي ما يدرك بإحدى الحواس الخمس.

- **قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: 22]

"جعل الأرض كالبساط المفروش، وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً، وهو الذي له طول وعرض، فإن كرية شكله مع عظم جرمها مصححة لافتراشها، (والسماء بنـــاء) قبـــة مضروبة عليكم وكل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة".(2)

هنا الطرفان حسيان لأن كل منهما يدركان بإحدى الحواس الخمس.

- وقوله تعالى **﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾** [يس: 39]

"حتى صار القمر في آخر الشهر وأول الشهر الثاني فـــي دقتـــه واستقواســـه واصـــفراره (كالعرجون) وهو الاعوجاج، وهو عود الغذق مـــا بـــين شـــماريخه علـــى منبتـــه مـــن النخلة...(القديم) العتيق فإذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر، شـــبه بـــه القمـــر فـــي آخـــر الشهر".(3)

فقد شبه القمر بالعرجون في دقته واستقواسه واصفراره والطرفان هنا حسيان.

---

(1) من بلاغة القرآن، د.محمد علوان، د. نعمان علوان، ص 149-150.

(2) تفسير روح البيان، للبروسوي، ج1، ص77-78.

(3) المصدر السابق، ج7، ص397.

يقول عبد الفتاح لاشين: "فهذا القمر بهجة السماء لايزال ينتقل في منازله حتى يصبح بعد هذه الاستدارة المبهجة، وهذا الضوء الساطع الغامر الذي يبدد ظلمة الليل، يصبح بعد هذا كله دقيقاً نحيلاً محدودباً لا تكاد العين تنتبه إليه، وكأنما هو في السماء تائه، لا أهمية ولا عناية بأمره".[1]

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ* تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر: 19-20].

أي: ريحاً تقلعهم روي أنهم دخلوا الشعاب، والحفر، وتمسك بعضهم ببعض، فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى... شبهوا بأعجاز النخل وهي لأصولها بلا فروع؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم، فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس".[2]

ويقول الشوكاني: "يقال: قعرت النخلة إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط شبههم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح، وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض، التي ليس لها رؤوس، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولاً ثم كبتهم على وجوههم".[3]

وهنا الطرفان حسيان، فشبه قوم عاد وهم شيء حسي، بأعجاز النخل المنقعر وهو شيء حسي أيضاً.

- وقوله تعالى ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 32-33]

"أي كل شرارة كقصر من القصور في عظمها... وهو التشبيه بالقصر في العظم، والثاني: هو التشبيه بالجمل في اللون، والكثرة، والتتابع، والاختلاط، والحركة". [4]

ويقول الزمخشري في تفسيره للآية: "أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين؛ من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات: من جهة العظم والطول، والصفرة".[5]

(1) البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، 1977م، ص41.
(2) تفسير روح البيان، للبروسوي، ج9، ص272-273
(3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تحقيق سيد ابراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003م، ج5، ص150.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص291-192.
(5) الكشاف : الزمخشري، ج4، ص527.

في الآية شبه الشرر بالقصر في عظمته وهما حسيان، ثم شبه الشرر في لونه الأصفر بالإبل في لونها وهما حسيان.

- وقوله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان:19]

أي يدور على الأبرار (ولدان)... (مخلدون) دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء، لا يتغيرون... (حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) متفرقاً؛ لحسنهم، وصفاء ألوانهم، وإشراق وجوههم، وتفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة، وطوافهم على المخدومين، مسارعين في الخدمة، ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، واللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض بغاية بياضه وبيرقه. [1]

ويقول الشوكاني: "قيل: إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين فإنه مشبههن باللؤلؤ المكنون؛ لأنهن لا يمتهن بالخدمة". [2]

فقد شبه (الولدان المخلدون) باللؤلؤ المنثور في حسنه وصفائه وإشراقه، وهما حسيان، والغرض من التشبيه تحسين صورة المشبه من خلال تشبيهه باللؤلؤ المنثور الذي يبدو في أحسن منظر.

- وقوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ*كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 22-23]

أي نساء وحور جمع حوراء وهي البيضاء أو الشديدة بياض العين، والشديدة سوادها... (كأمثال اللؤلؤ المكنون). صفة لحور أو حال أي الدر المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين، أو المصون عما يضر به، ويدنسه في الصفاء والنقاء، ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء، دل على أن أعمالهم كانت كذلك". [3]

فقد شبه الحور باللؤلؤ المكنون في حسنه وصفائه، والطرفان حسيان.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص276.
(2) فتح القدير، الشوكاني، ج5، 416.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، للبروسوي، ج9، ص322.

- وقوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات:48-49].

" أي جعلته في كن وهو الستر ة، شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان أي: لم تنله الأيدي فإن ما مسته الأيدي يكون متدنساً".(1)

- وقوله تعالى ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19]

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه الموت).

"خوف العدو في تلك الحالة (تدور أعينهم) في أحداقهم يميناً وشمالاً (كالذي يغشى عليه من الموت). أي دوراناً كائناً كدوران عين المغشي عليه من معالجة سكرات الموت، حذراً وخوفاً".(2)

- وقوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]

(تجعلونه قراطيس) أي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم. (3)

- وقوله تعالى ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223]

"نساؤكم حرث لكم" أي مواضع حرث لكم شبهن بها، لما بين ما يلقى في أرحامهن من النطف، وبين البذور من المشابهة، من حيث أن كلا منهما مادة لما يحصل منه". (4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج 7، ص458-459.
(2) المصدر السابق، ج7، ص157.
(3) المصدر السابق، ج3، ص67.
(4) المصدر السابق، ج1، ص352.

- وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154]

"(بل أحياء) أي : كالأحياء في الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم لأنهم قتلوا لنصرة دين الله".(1)

- وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: 82]

(وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود) "من طين متحجر، ونضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الأمطار". (2)

- وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم:12]

" الساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها".(3)

- وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]

"إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها. سرادقها أي فسطاطها، وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار". (4)

هنا شبه النار المحيطة بالظالمين بالسرادق في الإحاطة والشمول.

- وقوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

أي كعرضها صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل".(5)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج 1، ص260.
(2) المصدر السابق، ج1، ص182.
(3) المصدر السابق، ج7، ص14.
(4) المصدر السابق ،ج5،ص243.
(5) المصدر السابق، ج2، 98.

- وقوله تعالى ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: 95]

" شبه هلاكهم بهلاكهم لأنهما أهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة ".(1)

- وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ *تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل:1-5]

"(فجعلهم كعصف مأكول) وسمي ورق الزرع بالعصف؛ لأن شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح، أي تذهب به إلى هنا، وهنا شبههم به في فنائهم وذهابهم بالكلية".(2) فقد شبه أصحاب الفيل الذين جاءوا إلى مكة لهدم الكعبة، فسلط عليهم جماعات الطير ترميهم بحجارة، حتى أهلكهم الله بالعصف المأكول، وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس.

- وقوله تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [القمر:7].

(أي يخرجون من قبورهم حال كونهم أذلة أبصارهم من شدة الهول، خاضعة عند رؤية العذاب... أي يشبهن الجراد في الكثرة، والتموج، والتفرق في الأقطار".(3) وصف القرآن الكريم المشركين حين خروجهم من القبور أذلة أبصارهم من شدة الهول، فشبههم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج، وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس.

- وقوله تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42]

يقول البروسوي: "شبه كل موجة من ذلك بالجبل في عظمها وارتفاعها على الماء وتراكمها، وظاهره يدل على أن السفينة تجري داخل الموج، ولكن المراد أن الأمواج لما أحاطت السفينة من الجوانب شبهت بالتي تجري في داخل الأمواج".(4)

- وقوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12]

(صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ أي الغضبان إذا علا صدره من الغيظ فعند ذلك يهمهم والهمهمة ترديد الصوت في الصدر). (5)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص193.
(2) المصدر السابق ،ج10، ص531.
(3) المصدر السابق، ج9، ص267.
(4) المصدر السابق، ج4، ص139-140.
(5) المصدر السابق، ج6، ص209.

- وقوله تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. [الأعراف: 26]

(كأنه قيل ولباساً ريشاً، أي ذا ريش وزينة، تتجملون به، عبر عن الزينة بالريش تشبيهاً لها بريش الطائر؛ لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة لبني آدم، كأنه قيل :- أنزلنا عليكم لباسين لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزينكم فإن الزينة غرض صحيح. (1)

فاللباس يعد سترا وزينة فلا يصح أن نقول لباسين لأن اللباس واحد ويستخدم لغرضين الستر والزينة وهذا ما تؤكده الآية الكريمة قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) ، أي تستخدم الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة.

- وقوله تعالى ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [آل عمران: 49]

يقول البروسوي: "أي أقدر وأشكل؛ لأنه قد ثبت أن العبد لا يكون خالقاً بمعنى التكوين والإبداع، فوجب أن يكون بمعنى التقدير والتسوية (لكم)، أي لأجلكم بمعنى التحصيل لإيمانكم، ورفع تكذيبكم إياي (من الطين) أي مثل صورة الطير، أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، فيكون حياً طياراً كسائر الطيور بإذن الله وبأمره تعالى".(2)

- وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:47]

يقول البروسوي (جعل الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس فشبه ظلامه باللباس في الستر، وأصل اللبس ستر الشيء، وجعل اللباس وهو ما يلبس اسماً لكل ما يغطي الإنسان من قبح، وجعل الزوجة لزوجه لباساً في قوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، من حيث أنه يمنعها عن تعاطي قبيح، وجعل التقوى لباساً في قوله تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ﴾ [الأعراف:26] على طريق التمثيل والتشبيه... والمعنى أنه جعل

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ، ج3، ص156-157.
(2) المصدر السابق، ج2، ص39.

النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان، بقطع المشاغل والأعمال المختصة المشابهة التامة من انقطاع الحياة" [1]

يتضح من كل ما سبق أن البروسوي بيَّن التشبيه المحسوس بالمحسوس في تفسيره لبعض الآيات من خلال الشرح والتوضيح.

2- تشبيه المعقول بالمعقول:-

"هو المعاني الكلية التي تدرك بالعقل، كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، والمرض بالهلاك، والفقر بالكفر." [2]

وقد وضح البروسوي هذا التشبيه في تفسيره لبعض الآيات القرآنية من خلال الشرح، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:-

- قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِن عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: 63]

يقول البروسوي :" نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به".[3]

فقد شبه بقاء الجنة للمتقين ببقاء المال للوارث وهما عقليان.

- وقوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74]

يقول البروسوي: "خطاب لأهل عصر النبي عليه السلام من الأحبار، وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذكر ما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه، ثم أنتم تمترون، والقسوة والقساوة عبارة عن الغلظ والصلابة، كما في الحجر، وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها... القلوب مثل الحجارة في شدتها وقسوتها، والفاء لتفريع

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص236-237.
(2) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص44.
(3) روح البيان في تفسير القرآن ،ج5، ص349.

مشابهتها لها على ذكر من القساوة وتفريع التشبيه على بيان وجه الشبه، كقولك أحمر خده فهو كالورد".[1]

يتبين من تفسير البروسوي هذا التشبيه محسوس بمحسوس أي: شبه القلوب بالحجارة، وبذلك يتعارض مع قول الزركشي في تفسيره للآية بأن التشبيه في الآية القرآنية من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول. [2]

ويتفق مع قول السيوطي، يعتبر أن التشبيه محسوس بالمحسوس أي شبه القلوب بالحجارة.[3]

ويرجح الدكتور محمد علوان ما ذهب إليه الزركشي وهو "أن التشبيه في الآية من قبيل المعقول بالمعقول؛ لأن ذكر القسوة في الآية مرتين الأولى مقترنة بالقلوب، والثانية مقترنة بالحجارة وهذا لم يأت اعتباطاً، وإنما جاء ليبين لنا أن قسوة القلوب أشد من قسوة الحجارة ؛ لأن الحجارة مع قساوتها إلا أنها طاوعتنا وحققت لنا ما نريد، وهذا هو سر التعبير القرآني في تبيين أنواع الحجارة في الآية، وهو بخلاف القلوب التي أنزل الله عليها كثيراً من الآيات ولكنها لم تلن ولم تؤمن".[4]

وترجح الباحثة ما ذهب إليه الزركشي ود. محمد علوان وهو من التشبيه المعقول بالمعقول؛ لأن الغرض من التشبيه جاء ليحدد مقدار قسوة القلوب التي فاقت قسوة الحجار الصلبة.

- وقوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]

يقول البروسوي: "وهو تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة، تأتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته، وتصوير لسرعة حدوثها بما علم فيها من إطاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان؛ لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء بأسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد".[5]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص165.

(2) انظر:البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2، طبعة عيسى الحلبي ،ص42.

(3) انظر: معترك الأقران، السيوطي، تحقيق د. علي البجاوي– دار الفكر العربي، ج1، ص27.

(4) من بلاغة القرآن الكريم، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، ص153–154.

(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص37.

فقد شبه قدرة الله على خلق الأشياء مع وجود الأسباب بقدرة الله على خلقها بدون أسباب في كمال قدرته تعالى وسرعة حدوثها، وهما عقليان.

- وقوله تعالى ﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 70]

يقول البروسوي في هذه الآية "هو الهرم والخرف الذي يعود فيه كهيئته الأولى، في أوان طفولته، ضعيف البنية، ناقص القوة والعقل، قليل الفهم... ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في سوء الفهم والنسيان، وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه".(1)

شبه حالة الهرم والخرف بحال الطفولية في نقصان القوة، والعقل، والفهم. وهما عقليان.

- وقوله تعالى ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [الأنعام: 122]

يقول البروسوي "الأولى تمثيل لمن هداه الله تعالى وأنقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات، يتأمل بها في الأشياء فيميز بين الحق والباطل، والثانية لمن بقي على الضلالة لا يفارقها".(2)

يقصد الأول الموت والثانية الحياة، فشبه الضلال والكفر بالموت، وشبه النور والهداية والإيمان بالحياة، وهذه الأوصاف وجدانية تنبع من النفس.

- وقوله تعالى ﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5].

(على هدى) يقول البروسوي في تفسيره: "وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يقبل الشيء، ويستولي عليه، بحيث يتصرف فيه كيفما يريد، وذلك إنما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج، والمواظبة على محاسبة النفس".(3) ويفهم من قوله أن حرف "على" يفيد الاستعلاء وبناء على ذلك

شبه حال المؤمنين في ملابستهم بالهدى، بحال من يقبل على شيء ويستولي عليه في الإقبال والرغبة، وهذه الأمور موجودة من جهة النفس والوجدان.

(1) روح البيان في تفسير القرآن،، ج5، ص56.
(2) المصدر السابق، ج3، ص102.
(3) المصدر السابق، ج1، ص45.

- وقوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:18]

يقول البروسوي في تفسيره "خرس عن الحق لا يقولونه لما أبطنوا، خلاف ما أظهروا، فكأنهم لم ينطقوا، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له، فالعمى مستعمل هنا في عدم البصر والبصيرة معاً، وهذه صفاتهم في الدنيا، ولذلك عوقبوا في الآخرة بجنسها".(1)

فقد شبه الضلال عن الحق بالصم والبكم والعمى في فقدان البصيرة، والهداية إلى الخير والحق.

ويقول أبو السعود في تفسيره للآية: "المنافقون وصفهم الله بذلك مع سلامة مشاعرهم؛ لأنهم سدوا مسامعهم لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم، فصاروا كفاقدي تلك المشاعر، وهذا من باب التمثيل البليغ".(2)

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الروم :52].

يقول البروسوي "والكفار في التشبيه كالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق، ويقول ثم أشار تعالى إلى تشبيه آخر بقوله " **وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**" شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله بالصم".(3) فقد شبه الكفر بالموت، وعدم الإصغاء إلى الحق بالصم وهذه أوصاف عقلية.

- وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [النساء: 77]

(مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) يقول البروسوي في تفسيره " أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم...أي يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله... إن خشية بعضهم كخشية الله أو خشية بعضهم أشد منها".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص70.
(2) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ج1، مكتبة الرياض الحديثة، مطبعة السعادة، ص90.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص56.
(4) المصدر السابق، ج2، ص 224.

التشبيه في الآية القرآنية تشبيه خشية قلوب بعضهم من الكفار بخشية أهل خشية الله تعالى، يعد من قبيل المعقول بالمعقول؛ لأن ذكر الخشية في الآية القرآنية مرتين مقترنة بخشيتهم من الكفار، والثانية مقترنة بخشية الله لم يأت اعتباطاً، وإنما جاء لبيان وإيضاح حال المشبه.

- وقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 87]

(يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) " أي عالم بها من حفي عن الشيء إذا بالغ في السؤال عنه، ومن استقصى في تعلم الشيء وبالغ في السؤال عنه، لزمه أن يستحكم علمه به، ويعلمه بأقصى ما يمكن، ويكون ماهراً في العلم.... والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف، أي يسألونك مشبهاً حالك عندهم بحال من هو حفي عنها، أي مبالغ في العلم بها".(1)

- وقوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]

(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) " وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها. يعنى قيسوا الإعادة بالإبداء فلا تنكروها، فإن من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ".(2)

- وقوله تعالى ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال:6].

(كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ) "الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل".(3)

فقد شبه الكارهون للقتال بحال الذين يساقون إلى الموت بالعنف بالكراهية.

- وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص308.

(2) المصدر السابق، ج3، ص162.

(3) المصدر السابق، ج3، ص333.

يقول البروسوي في تفسيره: "أي كأنهم سكارى وإفراد الخطاب هنا بعد جمعه في ترونها؛ لأن الزلزلة يراها الجميع لكونها أمراً مغايراً للناس، بخلاف الحالة القائمة بهم من أثر السكر... والسكر حالة تعرض بين المرء وعقله... وفيه إشارة إلى أن الصور الأخروية وإن كانت مثل الصور الدنيوية في ظاهر النظر لكن بين الحقيقتين تخالف".(1)

شبه حال الناس يوم الزلزلة بحال السكارى في فقدان العقل والتخبط.

- **وقوله تعالى ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللهُ بِهِ وليبين لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [النحل: 92].

يقول البروسوي في تفسيره: "أيها المؤمنون في نقض العهد كالمرأة التي نقضت غزلها، والنقض في البناء والحبل وغيره ضد الإبرام،... والمعنى طاقات نكثت فتلها، والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه حال الناقض بمثل هذه المرأة المعتوهة، من غير تعيين إذا لا يلزم في التشبيه أن يكون للمشبه به وجود في الخارج".(2)

شبه حال النقض بحال الناقض في القبح.

3-تشبيه المحسوس بالمعقول:

- وقوله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [المائدة: 90].

" سميت هذه المعاصي (الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) رجساً؛ لوجوب اجتنابها، كما يجب اجتناب الشيء المستقذر(3). فقد شبه المعاصي بالرجس في القذارة والقبح

ذكره البروسوي في قوله تعالى**﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾** [الصافات: 64-65].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص4.
(2) المصدر السابق، ج5، ص76.
(3) المصدر السابق، ج2، ص442.

- فقال :" فتشبيه الطلع برؤوس الشياطين تشبيه كتشبيه الفائق في الحسن بالملك قال تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(1) [يوسف: 31]

في الآية الأولى شبه الطلع في تناهي القبح والكراهة، وهو شيء حسي، برؤوس الشياطين وهو شيء متخيل عقلي، وقد اتفق البروسوي مع الشوكاني أن الآية من قبيل المحسوس بالمتخيل؛ حيث يقول الشوكاني: "أي ثمرها وما تحمله كأنه في تناهي قبحه وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإن كان غير مرئي، للدلالة على أنه غاية في القبح، كما نقول تشبيه من يستقبحونه: كأنه شيطان وفيه تشبيه من يستحسنونه كأنه ملك".(2)

وجاء في الكشاف: "وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة".

- قال تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا تشبيه تخييلي "(3).

وفي هذه الآية يفهم أن التشبيه من قبيل المحسوس بالمعقول، فشبه يوسف عليه السلام في صورة البشرية ذات الجمال والحسن الفائق وهي صورة حسية بالملك وهي شيء متخيل عقلي وذلك بجامع الحسن والجمال في كل منهما.

ويقول الرازي في تشبيه الناس لكل من الملائكة والشياطين: "إن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة، واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة، فكما حسن التشبيه بالملك عند تقدير الكمال والفضيلة، وجب أن يحسن برؤوس الشياطين في القبح وتشويه الخلق ".(4)

- وقوله تعالى:﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[النمل: 10].

يقول البروسوي " فشبه الحية العظيمة بالجان في سرعة الحركة والالتواء".(5)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص463.
(2) فتح القدير، الشوكاني، ج4، ص474.
(3) الكشاف، الزمخشري، ج5، ص213.
(4) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، ص99.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص345.

فقد شبه العصا وهي شيء حسي بالجان وهو شيء متخيل، ووجه الشبه سرعة وخفة الحركة في كل من الحية العظيمة والجان.

- وقوله تعالى ﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:65].

يقول البروسوي في تفسيره: "شبه تهيج القوى النامية في الأرض وإحداث نضارتها بأنواع النباتات بالإحياء، وهو إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة، وشبه يبوستها بعد نضارتها بالموت بعد الحياة". (1)

يفهم من تفسير البروسوي للآية أنه شبه نضارة النباتات وهو شيء حسي بالحياة، التي تتصف بالحس والحركة، وهذا يصبح من قبيل التشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه آخر شبه يبوسة الأرض بعد نضارتها وهو شيء حسي بالموت، وهو شيء عقلي وهذا التشبيه محسوس بمعقول.

أعتقد أن التشبيهين في الآية من قبيل المحسوس بالمعقول؛ لأن هذا الوصف بالحياة والموت وصف عقلي يدرك بالعقل والوجدان.

4-تشبيه المعقول بالمحسوس:

يقول البروسوي في توضيح الغرض من التمثيل: "فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الأبي، كيف لا يلطف وهو إبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف، وإراءة للخيل محققاً، والمعقول محسوساً، وتصوير المعاني بصورة الأشخاص، ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالمشاهد، ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال".(2)

ووضح البروسوي هذا التشبيه من خلال تفسيره لبعض الآيات منها:

- قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

يقول البروسوي: "والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة، التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى، وظلمة يوم القيامة، وظلمة

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص48-49.
(2) المصدر السابق، ج1، ص68-69.

العقاب السرمدي بالهدى الذي هو الفطري النوري المؤيد، بما شاهدوه من دلائل الحق، كحال من استوقد ناراً عظيمة، حتى كاد ينتفع بها، فأطفأها الله تعالى، وتركه في ظلمات هائلة يتسنى فيها الإبصار".[1]

فقد شبه حال الكفار والمنافقين بالذي يستوقد ناراً، ثم يذهب النور الذي مدار نورهم في الظلمة، والظلمة التي تصيب الكافر هي سخط الله تعالى، وظلمة يوم القيامة، وظلمة العقاب السرمدي.

وقد وضح القزويني هذا التشبيه فقال: "فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر حقيقي منتزع من متعدد، وهو الطمع في حصول مطلوب، لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة، لانقلاب الأسباب".[2]

ومازال التعبير القرآني يصف حال المنافقين في حيرتهم وضلالهم عن الحق في قوله تعالى: **﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: 20].

يفسر البروسوي الآية: "شبه حال المنافقين في حيرتهم، وما خبطوا فيه من الضلالة، وشدة الأمر عليهم، وخزيهم، وافتضاحهم، بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد، وبرق، وخوف، من الصواعق والموت".[3]

فقد شبه حال المنافقين بحال من يهوله الرعد والبرق، فيخاف صواعقه، فيسد أذنه عنها في ضلالهم وبعدهم عن الحق والهداية.

- وقوله تعالى **﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**. [الأنعام:71]

يقول البروسوي في تفسيره: "أنعبد الأصنام، ونرجع من الإسلام إلى الشرك، مشبهين بالذي ذهبت به مردة الجن إلى المهامه، وأضلته متحيراً ضالاً عن الطريق... شبه الله تعالى من أشرك وعبد غير الله، مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل، بشخص موصوف بثلاثة

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص68-69.
(2) الإيضاح، القزويني، ص254-255.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1.

أوصاف؛ الأول استهوته مردة الجن والغيلان في المهامه والمفاوز، والثاني كونه حيران تائهاً ضالاً عن الجادة، لا يدري كيف يصنع، والثالث أن يكون له أصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهامه، وضللت عن الجادة، وهو لا يجيبهم، ولا يترك متابعة الجن والشياطين".(1)

شبه الشرك والرجوع من الاسلام إلى الشرك بهذه الأوصاف الثلاثة في البعد والضلالة والحيرة، فهنا مثّل حال من تلبَّس بالشرك واعتقده، بحال من تستهويه مردة الجن، وبحال من يكون حيراناً ضالأ عن الجادة، وبحال من يكون له أصحاب يدعونه إلى الهدى فلا يلتفت إليهم، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.

- ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

يقول البروسوي في تفسيره: "مثَّل تعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا؛ من صلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وقري ضيف، وفك أسير، وإكرام يتيم، ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان، لنالوا ثوابها، بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوها، فمزقها وأبطلها بالكلية، ولم يبق لها أثراً، أي قصدنا وأظهرنا بطلانها بالكلية؛ لعدم شرط قبولها، وهو الإيمان فليس هناك قدوم على شيء ولا نحو، وهذا هو تشبيه الهيئة، وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية، وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة، وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار، بحيث لا يمكن نظمه ".(2)

شبه القرآن ضياع أعمال الكفار وهي صورة عقلية بالغبار المنثور وهي صورة حسية ووجه الشبه عدم الجدوى والحقارة.

- ومنه قوله تعالى ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 19].

يقول البروسوي في تفسيره: "أجعلتموها كإيمان من آمن، فإن السقاية والعمارة وإن كانتا في أنفسهما من أعمال البر والخير، لكنهما بمعزل عن صلاحية أن يشبه أهلها بأهل الإيمان والجهاد".(3)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص55-56.
(2) المصدر السابق، ج6، ص2155-216.
(3) المصدر السابق، ج3، ص421.

فقد شبه أعمال الخير والبر وهو عقلي، بمن آمن بالله وجاهد في سبيله، وهو حسي، ووجه الشبه الفضيلة، وعلو الدرجة في كل منهما.

- ومنه قوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [آل عمران: 18].

يقول البروسوي في تفسيره: "أي آمنوا واحتجوا عليه بالأدلة التكوينية والتشريعية، وهم الأنبياء والمؤمنون، الذين علموا توحيده، وأقروا به اعتقاداً صحيحاً، فشبه دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة، التي لا يقدر عليها غيره تعالى إقرار الملائكة، وأولى العلم بذلك بشهادة الشاهد في البيان والكشف".(1)

- ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[الروم: 7].

في الآية "تشبيه أهل الغفلة بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا، على الظواهر الحسية، دون أحوالها التي هي من مبادئ العلم بأمور الآخرة، وغفلة المؤمنين بترك الاستعداد لها، وغفلة الكافرين بالجحود بها".(2)

- ومنه قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً﴾ [طه: 100]

يقول البروسوي في تفسيره هذه الآية: "عقوبة ثقيلة على كفره، وسائر ذنوبه، وتسميتها وزراً في ثقلها على المعاقب، وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحال وينقص ظهره".(3)

فقد شبه العقوبة وهي شيء عقلي، بالحمل الذي يثقل ظهر الإنسان، وهو شيء محسوس في صعوبة الاحتمال.

- ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء:65].

"شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه، من قوله نكس المريض إذا عاد إلى مرضه الأول بعد العافية، والنكس قلب الشيء، وآخره على أوله".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص13.
(2) المصدر السابق، ج7، ص60.
(3) المصدر السابق، ج5، ص429.
(4) المصدر السابق، ج5، ص502.

- ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35].

يقول البروسوي في هذه الآية: "أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة، وهو القرآن البين، فهو تمثيل له في جلاء مدلوله، وظهور ما تضمنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة، والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيب... أي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة... وجعل المصباح في زجاجة في كوة غير نافذة شدة الإضاءة متلألئ وقّاد، شبيه بالدر في صفائه وزهرته.

ويظهر البروسوي في هذه الآية جمال التشبيه القرآني، من خلال تفسيره، يطرح سؤالاً وجيها يقول: "فإن قيل لم شبهه بذلك، وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير؟ فيجيب: "بأنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح في وسط الظلمة؛ لأن الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم، إنما هي الشبهات التي هي كالظلمات، وهداية الله تعالى فيما بينهما كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات، وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس؛ لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص، وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة، فلا جرم كان ذلك المثل هاهنا أليق...، وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء، وقلب المؤمن بالزجاج، وهو سريع الانكسار، ولم يشبهها بالشمس التي لا تطفأ، ولا قلب المؤمن بالأشياء الصلبة التي لا تنكسر، تنبيها على أنه على خطر وجدير بحذر".(1)

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:45].

يقول البروسوي في تفسيره للآية: "أي اذكر لقومك وبين ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها؛ لئلا يطمئنوا ولا يعكفوا عليها، ولا يعرضوا عن الآخرة بالكلية... كماء ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده، بل بجموع ما في حيز الأداة، فالتف وتكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً، فصار ذلك النبات الملتف أثر بهجته مهشوماً مكسوراً، لبسه

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6

من الهشم، وهو كسر الشيء الرخو، تحمله وتفرقه، يقال ذرت الريح الشيء، وذرته أطارته وأذهبته وذراً هو بنفسه". [1]

ويقول الرماني في تفسير هذه الآية: "هذا بيان قد أخرج مالم تجريه عادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر".[2]

- قوله تعالى:﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:26].

(ولباس التقوى)."شبهت التقوى بالملبوس من حيث إنها تستر صاحبها وتحفظه مما يضره كما يحفظه الملبوس".[3]

- ومنه قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [العنكبوت: 41].

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: "من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة؛ لتشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها، واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً، فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذى وينتقض بأدنى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً".[4]

ويقول الرماني في تفسيره للآية "فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في ضعف المعتمد، وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين مع الشعور بما فيه من التوهين".[5]

ويقول عبد القادر حسين: "فشبه أعمال الكافرين الفاسدة ببيت العنكبوت الواهي، الذي يقيمه من نسج مهلهل، لا يثبت أمام هبة من ريح، أو نسمة من هواء، تشبيه أمر معنوي بأمر حسي".[6]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص252.
(2) كتاب النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ص7.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص157.
(4) المصدر السابق، ج6، ص501.
(5) كتاب النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص9.
(6) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، دار المنار، ط1، 1991م، ص53.

فقد شبه الله أعمال الكافرين لعبادتهم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ببيت العنكبوت الضعيف، الذي لا يملك نفعاً ولا ضراً، فهو تشبيه من قبيل المعقول بالمحسوس.

أنواع التشبيه:-

أولا: التشبيه البليغ:-

"وهو ما حذفت منه الأداة، ووجه الشبه، وعليه يكون مؤكداً ومجملاً، ويعتبر أكثر الأنواع بلاغة".[1] وقد ذكره البروسوي في تفسيره في بعض الآيات القرآنية منها:

- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:35].

يقول: "من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهراً لهما، أي موجداً، فإن أصل الظهور هي الظهور من العدم إلى الوجود".[2]

- وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 35]

يوضح البروسوي التشبيه البليغ من خلال تفسيره لهذه الآية "والمقصود تشبيه حالهم بحال الأصم ولكن حذف حرف التشبيه للمبالغة".[3]

- وقوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

---

(1) من بلاغة القرآن الكريم، د.محمد، د.نعمان علوان، ص176.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص164.

(3) المصدر السابق، ج3، ص30.

يقول: "أي كعرضها صفة لجنة وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل".[1] نلاحظ حذف الأداة ووجه الشبه، وقال ذكر التشبيه بالعرض للمبالغة ليوحي بوجود تشبيه بليغ في الآية القرآنية.

- وقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 287].

يقول البروسوي في تفسيره هذه الآية: "هو أول ما يبدو من بياض النهار كالخيط الممدود دقيقاً، ثم ينتشر، وما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار، فإن الصبح الصادق إذا بدا يبدو كأنه خيط ممدود، فيعرض الأفق، ولا شك أنه يبقى معه بقية من ظلمة الليل، يكون طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر، كأنه خيط أسود في جنب خيط أبيض؛ لأن نور الصبح إنما ينشق في خلال ظلمة الليل فشبها بخيطين أبيض وأسود".[2]

فقد شبه أول ما يظهر من الفجر بالخيط الأبيض، وسواد الليل قبل أول الفجر شبهه بالخيط الأسود.

ويوضح الشوكاني هذا التشبيه فقال: "هو تشبيه بليغ، والمراد بالخيط الأبيض هو المعترض في الأفق لا الذي هو كذنب السرحان، فإن الفجر الكاذب الذي لا يحل شيئاً ولا يحرمه، والمراد بالخيط الأسود سواد الليل، والتبيين أن يمتاز أحدهما عن الآخر".[3]

ويرد الزمخشري على من سأل عن هذه الآية أهي استعارة أم تشبيه: فيقول: "قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك "رأيت أسداً" مجاز، فإذا زدت من فلان رجع تشبيهاً، فإن قلت: فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيهاً وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت لأن شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد من الفجر فكان تشبيهاً بليغاً".[4]

فالبروسوي يتوافق مع الشوكاني والزمخشري وغيره من علماء البلاغة، في أن الآية فيها تشبيه بليغ، حيث حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه وبقي المشبه الفجر والمشبه به الخيط الأبيض والاسود.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص98.
(2) المصدر السابق، ج1، ص302.
(3) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص167.
(4) الكشاف، الزمخشري، ج، ص210.

- قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِن عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]

يقول البروسوي: "أي نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها، كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه بها".[1]

فقد شبه بقاء الجنة كما بقي على الوارث مال مورثه، ووجه الشبه البقاء محذوف، وكذلك أداة الشبه فيكون تشبيهاً بليغاً.

- ومنه قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: 43]

يقول البروسوي: "قلوبهم خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة، كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل".[2] فقد شبه قلوب الظالمين وهي خالية من العقل والفهم بالهواء الخالي الفارغ وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه.

- وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16]

يقول البروسوي في تفسيره هذه الآية: "وارد على التشبيه أي فكما لا يستوي الأعمى والبصير في الحس، لا يستوي الجاهل المشرك بعظمة الله وثوابه وعقابه وقدرته مع الموحد العالم بذلك...، وهل تستوي الظلمات والنور وارد على التشبيه أيضاً، أي فكما لا تستوي الظلمات والنور، كذلك لا يستوي الشرك والإنكار والتوحيد والمعرفة، وعبر عن الشرك بصيغة الجمع؛ لأنه أنواع، كشرك النصارى، اليهود، وعبدة الأوثان وشرك المجوس وغيرهما بخلاف التوحيد".[3]

ويبدو من تفسير البروسوي للآية الكريمة أنها تشبيه بليغ محذوف أركانه الثلاثة ولم يتبق منها سوى المشبه به.

ولكن لا أتفق مع البروسوي في أن هذه الصورة من صور التشبيه فأرجح أن تكون من باب الاستعارة التصريحية، فاستعير للضلال والكفر بلفظ الظلمات، وللهدى بلفظ النور، لعلاقة المشابهة بينهما فكما يبعد الضلال الهداية عن القلوب، تحجب الظلمات الأضواء عن الآفاق، واستعير للمشرك بلفظ الأعمى والمؤمن بلفظ البصير.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص349.
(2) المصدر السابق، ج4، ص456.
(3) المصدر السابق، ج4، ص377-378.

- ومنه قوله تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223]

وضح البروسوي هذا التشبيه، ولم يبين نوعه: أي موضع حرث لكم شبههن بما يلقى في أرحامهن من النطف، وبين البذور من المشابهة، من حيث أن كلا منها مادة لما يحصل منه"[1]

يقول الشوكاني :" فقد شبه ما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النبات بجامع أن كل واحد منهما مادة لما يحصل منه".[2]

ويوضح الزمخشري هذا التشبيه " شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور ".[3]

ويقول أبو السعود في أن الصورة تشبيه:" أي مواضع حرث لكم، شبههن بها لما يلقى في أرحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث أن كلاً منها مادة لما يحصل منه".[4]

ويلاحظ تشابهاً كبيراً بين تفسير أبي السعود والشوكاني والبروسوي في أن الصورة من صور التشبيه البليغ.

- وقوله تعالى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187]

يقول البروسوي في تفسيره " جعل كل من الرجل والمرأة لباساً للآخر... لأن كلاً منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور".[5]

فقد شبه الرجل والمرأة لباساً للآخر في كل منهما يستر صاحبه، وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه للمبالغة في الستر.

- ومنه قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]

يقول البروسوي في تفسيره هذه الآية الكريمة: " أي ترى الجبال يومئذ حال كونك تظنها ثابتة في أماكنها من جمد الماء... والحال أنها تمر مثل مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً سريعاً".[6]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص 325.
(2) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص311.
(3) الكشاف، ج1، ص241.
(4) تفسير أبو السعود، ج1، ص269.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج1 ، ص302.
(6) المصدر السابق، ج6، ص400.

ويقول عبد القادر في توضيح الصورة البيانية: "وربما استغنى عن أداة التشبيه بالمصدر نحو خرج خروج القدح، وطلع طلوع النجوم، ومرق مروق السهم، ولا يكثر مثل هذا في التنزيل وإنما عامة التشبيهات في القرآن مقرونة بالأدوات.... وإنما يحذفون حروف التشبيه للمبالغة في وصف المشبه ".(1)

يوضح عبد القادر أن نوع التشبيه في الآية القرآنية تشبيه بليغ، لحذف أداة التشبيه، واستغنى عنها بالمصدر أي تمر مر السحاب، وإنما حذفت للمبالغة في وصف حال الجبال يوم القيامة.

- وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [مريم: 31].

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي :كالأرباب فهو من باب التشبيه البليغ، والمعنى أطاعوا علماءهم وعبادهم فيما أمروهم به طاعة العبيد للأرباب، فحرموا ما أحل الله وحللوا ما حرم الله".(2)

- وقوله تعالى ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾. [الأنبياء: 19].

يقول: "والمراد الملائكة المكرمون المنزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريقة التمثيل، والبيان لشرفهم وفضلهم على أكثر خلقه، لا على الجميع، كما زعم أبو بكر الباقلاني وجميع المعتزلة، فالمراد بالعندية عندية الشرف، لا عندية المكان والجهة وعند وإن كان من الظروف المكانية، إلا أنه شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة، فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به".(3)

فقد شبه الملائكة المكرمون بقرب منزلتهم ومكانتهم بقرب المكان والمسافة في بيان شرفهم وفضلهم، فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به، والأداة محذوفة، ووجه الشبه محذوف، فيكون صورة من صور التشبيه البليغ.

- وقوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 39].

(1) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص79.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص436.
(3) المصدر السابق، ج5، ص468.

يقول البروسوي: وهي التمتع والانتفاع...، أي تمتع يسير، وانتفاع قليلي لسرعة زوالها".[1]

وأن الآخرة هي دار القرار يقول: "لخلودها ودوام ما فيها فالدائم خير من المنقضي".[2]

فشبه الدنيا بالمتاع، لسرعة زوالها، وشبه الآخرة كدار القرار لخلودها، ودوام ما فيها، وأداة التشبيه محذوفة ووجه الشبه فالآية من قبيل التشبيه البليغ.

- وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]

يقول البروسوي: "والمعنى إنما المؤمنون منتسبون إلى أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، كما أن الأخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد، هو الأب الموجب للحياة الفانية، فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبني على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب".[3]

ثانياً : التشبيه التمثيلي (التشبيه المركب) :-

وهو: " ما وجهه وصف، منتزع من متعدد أمرين أو أمور".[4]

يذكره السكاكي: "اعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعاً من أمورعدة رخص باسم التمثيل".[5]

وهذا هو التشبيه المركب وله أمثلة في القرآن الكريم كثيرة، وقد وضح ذلك البروسوي من خلال ذكره كلام السيوطي في كتابه الإتقان يقول: "من أعظم علم القرآن أمثاله والناس في غفلة عنه".[6]

ومن ثم يذكر البروسوي الغرض من التشبيه التمثيلي، فيقول: "كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد".[7]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص205.
(2) المصدر السابق، ج8، ص206.
(3) المصدر السابق، ج9، ص77.
(4) الإيضاح، القزويني ، ص253.
(5) مفتاح العلوم، السكاكي، ص346.
(6) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص69.
(7) المصدر السابق، ج1، ص68.

- ومنه قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾ [البقرة:19].

والآية الثانية قوله تعالى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

يذكر البروسوي في تفسيره الآيتين: "شبه الله حال المنافقين في حيرتهم، وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة الأمر عليهم وخزيهم وافتضاحهم، بحال من أخذته السماء بليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت، هذا إذا كان التمثيل مركب، وهو الذي يقاضيه جزالة التنزيل فإنك تتصور في المركب الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور وكيفياتها المتضامنة فيحصل في النفس منه ما لا يحصل من المفردات، كما إذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من أدركه الهطل مع تكاثف الليل، وهيئة انتساج السحاب بتتابع القطر، وصوت الرعد الهائل والبرق الخاطف والصاعقة المحرقة، ولهم من خوف هذه الشدائد حركات من يحذر الموت حصل لله منه أمر عجيب وخطب هائل بخلاف ما إذا تكلفت لواحد واحد مشبها به".(1)

فنجد أن المشبه في الآية الأولى والثانية: حال المنافقين في الضلالة عن الحق وحيرتهم والمشبه به: حال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت.

ويذكر البروسوي في تفسيره وجه الشبه مركب، وهو الهيئة الحاصلة من تفاوت تلك الصور التي تؤثر في النفس، أن كلا منهما لينتابه الحيرة والخوف والدهشة.

- ومنه قوله تعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:17].

يقول البروسوي: "والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة، التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى، وظلمة يوم القيامة وظلمة العقاب السرمدي، بالهدى الذي هو الفطري النوري المؤيد، بما شاهدوه من دلائل الحق

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص74-75.

كحال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينتفع بها، فأطفأها الله وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار".(1)

فالمشبه: حال الكفار والمنافقين المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق والمشبه به: حال من استوقد ناراً عظيمة فأطفأها الله وتركه في ظلمات.

ووجه الشبه مركب: الهيئة الحاصلة من وجود الهدى والنور ثم يتبعه الخيبة والحرمان.

والبروسوي يشير إلى الإعجاز البياني في هذه الآية الكريمة: "النار جوهر لطيف مضيء محرق، والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة ،... (ذهب الله بنورهم) أي أذهبه بالكلية وأطفأ نارهم التي هي مدار نورهم، وإنما علق الإذهاب بالنور دون نفس النار؛ لأنه المقصود بالاستيقاد، وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى، إما لأن الكل بخلقه تعالى، وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة.... ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور؛ لأن ذهاب الضوء قد تجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية". (2)

والمتأمل في تفسير البروسوي فيما سبق يبرز جمال النسق القرآني، والتعبير البياني؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر في بداية الآية السابقة كلمة النار الجوهر اللطيف المضيء المحرق ثم ذكر (ذهب الله بنورهم) ولم يقل بنارهم؛ لأن المقصود بقاء الجوهر المحرق، ولم يقل بضوئهم؛ لأن الضوء زيادة في النور والمقصود والمراد في الآية إزالة النور بالكلية أي لا يبقى من النور أثر.

- ومنه قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور:39].

يقول البروسوي: "أي أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الرحم... ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب كسراب هو ما يرى في المفازة من لمعان الشمس عليها نصف النهار، فيظن أنه ماء يسرب أي يذهب ويجري، وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب

(1) روح البيان في تفسير القرآن،ج1، ص69.
(2) المصدر السابق، ج1، ص427.

فيما له حقيقة... (يحسبه الظمآن ماء). أي يظنه الشديد العطش والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه، وهو الابتداء المطمع والانتهاء المؤيس".(1)

فالمشبه: هيئة أعمال الكفار يحسبون بجهلهم أنهم يحسنون صنعاً، وتوهمهم بأن لها وزناً وثواب عند الله والحقيقة لا تساوي شيئاً عند الله يوم القيامة.

المشبه به: هيئة السراب في الصحراء يحسبه الظمآن ماء، فيذهب إليه ويجري، فلا يجد هناك شيئاً.

وجه الشبه مركب: الهيئة الحاصلة من الأمل المطمع والنهاية المؤيسة.

يقول الرماني: "وتشبيه أعمال الكفر بالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة".(2)

ويقول د. عبد الفتاح لاشين في هذا السياق: "إن النسق اللغوي والنظم الإلهي يضفي حياة على الصورة التشبيهية، ويكسبها ظلالاً إيحائية لا يستطيع طرفي التشبيه وحدهما أن يقوما بها، فالنظم الإلهي والتركيب اللغوي يبرز حالة نفسية حركية تصور معاناة سائر في صحراء قاحلة، تناوشه أحاسيس الظمأ، ويحاول تهدئتها بقرب إدراكه الماء الذي ينكشف في نهاية الطريق عن وهم خادع".(3)

يتضح مما سبق أن حسن النظم القرآني، والنسق اللغوي يضفي الحياة والحركة على الصورة التشبيهية، مما يثير انفعالات نفسية حركية، تجعل المعنى يستقر في النفس والوجدان.

وقد ذكر البروسوي التشبيه التمثيلي من خلال تفسيره لبعض الآيات القرآنية منها:

- قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد:14].

يقول البروسوي: "التشبيه من المركب التمثيلي، شبه حال الأصنام مع من دعاهم من المشركين وهو عدم استجابتهم دعاء المشركين، وعدم فوز المشركين من دعائهم الأصنام شيئاً من الاستجابة، والنفع بحال الواقع بمرأى العطشان الذي يبسط إليه كفيه يطلب منه، أي

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص173.
(2) كتاب النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ص6.
(3) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص65.

يبلغ فاه وينفعه من احتراق كبده، ووجه الشبه عدم استطاعة المطلوب، منه إجابة الدعاء وخيبة الطالب عن نيل ما هو أحوج إليه من المطلوب، وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة أمور".[1]

- وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرعد:117].

يقول البروسوي: "والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية، من غير أن يعود إليهم بالنفع، ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته، ولم يبق لهم فيه منفعة بوجه من الوجوه فهو من التشبيه المركب".[2]

- وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : 264]

يقول البروسوي: "أي لا تبطلوها إبطالاً كإبطال المنافق الذي ينفق لأجل رئائهم، يعني ليقال عنه كريم، لا يريد بإنفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة... أي حالته العجيبة مثل حجر صاف أملس... لما ذكر تعالى بطلان أمر الصدقة بالمن والأذى ذكر لكيفية إبطال أجرها بهما مثلين.

فمثله أولاً بمن ينفق ماله رئاء الناس، وهو مع ذلك كافر بالله واليوم الآخر، فإن بطلان أجر ما أنفقه هذا المنافق أظهر من بطلان أجر من يتبعها بالمن والأذى ثم مثله ثانياً بالصفوان الذي وقع عليه تراب وغبار، ثم أصابه المطر، فأزال ذلك الغبار عنه حتى صار كأنه ما كان عليه تراب وغبار أصلاً فالكافر كالصفوان والتراب مثل ذلك الإنفاق والوابل كالكفر الذي يحبط عمل الكافر وكالمن والأذى اللذين يحبطان عمل هذا المنفق فكما أن الوابل أزال التراب الذي وقع على الصفوان، فكذا المن والأذى يجب أن يكونا مبطلين لأجر الإنفاق بعد حصوله وذلك صريح بالقول بالإحباط والتكفير".[3]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص375.

(2) المصدر السابق، ج2، ص87.

(3) المصدر السابق ،ج1، ص427.

فإذا دققنا النظر في تفسير البروسوي للآية نجده يرسم لنا صورة حال المشبه أي المنفق ماله في الصدقة رياء وسمعة، ويضفي الحياة عليها لتصويرها بالصورة الحية أي بحال الحجر الأملس الذي وقع عليه الغبار، لكن وابل المطر لم يلبث أن يزيل هذا الغبار، فيبدو الحجر ما كان عليه تراب ولا غبار.

- ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

يقول البروسوي: "والمعنى تشبيه نفقات هؤلاء الذين ينفقون بسبب ما يحملهم عليه من الابتغاء والتثبيت زاكية عند الله، لا تضيع بحال وإن كانت تلك النفقات تتفاوت في زكائها بحسب تفاوت ما ينضم إليها من أحوالها التي الابتغاء، والتثبيت الناشئ من ينبوع الصدق والإخلاص إليها بحال جنة نامية زاكية بسببي الربوة والوابل، أو الطل والجامع النمو المرتب على السبب المؤدي إليه".(1)

والذي يتدبر في هذه الآية وتفسيرها يجدها هي الوجه المقابل للصورة في الآية الأولى، الصدقات التي تنفق ابتغاء وجه الله، كالجنة فوق ربوة، وفي الصورة المقابلة الصدقات التي تنفق رياء وسمعة، كحفنة من التراب على حجر أملس.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24].

يقول البروسوي: "واعلم أن التشبيه الواقع في هذه الآية تشبيه مركب، وإن دخل الكاف على المفرد وهو الماء؛ لأنه شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة، وبهائها، وسرعة انقضائها بعد اغترار الناس بها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الأرض، ونضاراتها، وانعدامها بآفة سماوية، ومشيئة إلهية".(2)

(1) روح البيان في تفسير القرآن،ج1، ص431.
(2) المصدر السابق، ج4، ص38.

- ومثله قوله تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:45].

يقول البروسوي: "ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده، بل بمجموع ما في حيز الأداة".(1)

- ومنه قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 175-176]

يقول البروسوي:" فكما أن الكلب دائم اللهث ضيق الحال، فكذا هذا الكافر إن زجرته ووعظته لم ينزجر ولم يتعظ، وإن تركته لم يهتد ولم يعقل فهو متردد إلى مالا غاية وراء في الخسة والدناءة... ذلك المثل السيء مثل قوم اليهود،... بعد ما أتوا التوراة المشتملة على نعت الرسول ﷺ وذكر القرآن المعجز، وبشرى الناس باقتراب مبعثه، وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه".(2)

وقد وضح البروسوي في شرحه للآية الكريمة الغرض من التشبيه، وهو بيان حال المشبه الذي يترك الطاعة، وكذلك الكلب لا يطيعك في ترك اللهث بجامع الخسة والدناءة.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].

يقول البروسوي:" أي صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة... أي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم...شبه الله صنائع الكفار من الصدقة وصلة الرحم.. ونحو ذلك مما هو من باب المكارم في حبوطها وذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف".(3)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص252.
(2) المصدر السابق، ج3، ص294-295.
(3) المصدر السابق، ج4، ص431.

يفهم من كلام البروسوي أن القرآن جاء بالرماد في هذه الآية الذي لا يقوى على البقاء أمام الريح العاصف، ليصور لنا مشهداً حياً مشبهاً بأعمال الكفار التي لا وزن لها يوم القيامة.

- وهذه الصورة التي تتسم بالتفصيل الدقيق نجد لها صورة في غاية الإيجاز، في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

يقول البروسوي: "وهذا هو التشبيه الهيئة، وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية، وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى، ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه". (1)

- وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: 29].

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية :" تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه أي جعلهم الله كالزرع في النماء والقوة، ليغيظ بهم مشركي مكة وكفار العرب والعجم". (2)

فقد شبه حال الصحابة مع النبي وزيادة عددهم وقوتهم بالزرع يكون ضعيفاً، ثم ينمو، ويغلظ ساقه فيقوى.

يقول الشوكاني: "فهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لأصحاب النبي ﷺ، وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع، فإنه يكون في الابتداء ضعيفاً ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه". (3)

وقال الفراء: "هو مثل ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ إذا خرج وحده ثم قواه بأصحابه، كما قوى الحبة بما نبتت فيها." (4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص216.
(2) المصدر السابق، ج9، ص6.
(3) فتح القدير، ج5، ص69.
(4) معاني القرآن، أبي زكريا يحيي بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983، ج3، ص69.

ونلاحظ هنا أنه يتجلى الغرض من التشبيه في بيان حال المشبه وتقريره في النفوس، من خلال رسم الصورة الحية المحسوسة للزرع الذي يبدأ ضعيفاً ثم يقوى حالاً حتى يغلظ ساقه.

- وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 24-26].

يقول البروسوي:" بين شبها ووضعه في موضعه اللائق به...(أي جعل كلمة طيبة وهي كلمة التوحيد كشجرة طيبة أي حكم بأنها مثلها... وتعطي ثمرها كل حين وقته الله لإثمارها وهي السنة الكاملة)، (ويضرب الله الأمثال لعلهم يتذكرون) يتفطنون بضرب الأمثال ، لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير فإنه تصوير للمعاني بصورة المحسوسات".[(1)]

فإن المقصود تشبيه مركب (كلمة موصوفة بالطيب بشجرة موصوف بالطيب أيضا) وهذا مما أضفى على الآية رونق الفصاحة والبلاغة.

ومثاله أيضاً الصورة المقابلة للكلمة الطيبة، وهي الكلمة الخبيثة الموصوفة بالشجرة الخبيثة في القبح والضرر والمرارة.

ويسرد البروسوي كلام الشيخ الغزالي رحمه الله في هذه الآية "شبه العقل بشجرة طيبة والهوى بشجرة خبيثة"[(2)].

ثالثا : التشبيه المقلوب :-

"ويسمى أيضاً التشبيه المعكوس، فيجعل المشبه مشبهاً به، وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به، لادعاء أن المشبه أتم، وأكمل، وأظهر، وأشهر من المشبه به في وجه الشبه، والمقصود من هذا القلب في التشبيه المبالغة".[(3)]

وقد سماه ابن الأثير (الطرد والعكس) وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به. [(4)] وسماه ابن جني غلبة الفروع على الأصل. [(5)]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص438.
(2) المصدر السابق، ج4، ص439.
(3) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين. ص95، وانظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص275، ومن بلاغة القرآن و د.محمد، د. نعمان علوان، ص179.
(4) المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص156.
(5) الخصائص ابن جني، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص308.

وقال عبد القاهر الجرجاني في معناه: "جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً، وهو إذا استقريت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها، وذلك نحو أنهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال، ثم يعطفون على الثاني، فيشبهونه بالأول فترى الشيء مشبهاً مرة ومشبهاً به مرة أخرى، فمن أظهر ذلك أنك تقول في النجوم كأنها مصابيح، ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح كأنها نجوم".(1)

"والشرط في استعماله أن لا يرد إلا فيما كان متعارفاً، حتى تظهر فيه صورة الانعكاس".(2) وقد قالوا في التشبيه المقلوب إنه "موضع من علم البيان حسن الموقع، لطيف المأخذ".(3)

وينوه الوطواط ببلاغة المعكوس ذلك أن أجمل التشبيهات وأكثرها قبولاً لدى الطباع، وهي تلك التي إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته، وصواب التشبيه وصحته. (4)

ولم يغفل البروسوي ذكر هذا النوع من التشبيه أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، فبينه ووضح الغرض من التشبيه، وهو المبالغة في بعض الآيات منها :-

- قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة:275].

يقول البروسوي: " فنظموا البيع والربا في سلك واحد؛ لإفضائهما إلى الربح، فاستحلوه استحلاله، وقال: يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين، ومن الكلام أن يقال ليس الربا مثل البيع، إلا أنه على المبالغة أي: اعتقدوه حلاً حتى ظنوا أنه أصل".(5)

فجعلوا الربا كأنه أصل، والبيع الفرع، فغلب الأصل على الفرع، وقلب التشبيه مبالغة فيه اعتقاداً أن الربا حلاً وأولى من البيع.

- ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17].

---

(1) أسرار البلاغة ، ص177

(2) الطراز، ج1، ص148.

(3) المثل السائر، ج2، ص157.

(4) انظر التشبيه بين عبد القهار وابن الأثير، د. الكردي، طبعة السعادة، ص127.

(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص442.

يقول البروسوي: "والهمزة للإنكار أي: أبعد ظهور دلائل التوحيد تتصور المشابهة والمشاركة، يعنى واختير تشبيه الخالق بغير الخالق مع اقتضاء المقام بظاهره عكس ذلك؛ مراعاة لحق سبق الملكة على العدم".(1)

المقصود من الآية تشبيه غير الخالق بالخالق، فالظاهر في تفسيره العكس ذلك، وإنما قلبوا لأنهم عبدوا الأصنام، وصارت عبادتها أصلاً، وعبادة الله عندهم فرعاً.

واختير تشبيه الخالق بغير الخالق مع اقتضاء المقام بظاهر عكس ذلك، وينم ذلك الشرح بأن التشبيه صورة من صور التشبيه المقلوب.

- ومنه قوله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الـمُسْلِمِينَ كَالْـمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: 35].

يقول البروسوي: "الهمزة للإنكار، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم، فنجعل المؤمنين كالكافرين في حصول النجاة والوصول إلى الدرجات... نَعَم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق، فيه وعظ للعاقل، وزجر للمتبصر".(2)

يفهم من تفسير البروسوي للآية الكريمة المقصود منها الزجر عند تشبيه المسلمين كالمجرمين، فأصل الكلام: أفنجعل المجرمين كالمسلمين، ولكنه عكس؛ لأن المجرمين يعتقدون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها وبذلك يكون تشبيها مقلوبا.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَـيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36].

يوضح البروسوي في تفسيره للآية **(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)** التشبيه المقلوب يقول:" مقول لله أيضاً مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته ، واللام فيهما للعهد أي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالاً قصاراه أن يكون كالأنثى".(3)

ويبين البروسوي التشبيه المقلوب من خلال بيانه لغرض التشبيه جاء لتعظيم موضوعها ورفع منزلتها كالذكر.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص23.

(2) المصدر السابق، ج10، ص119.

(3) المصدر السابق، ج2، ص28.

- وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِّ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127].

" فهو من الكلام المقلوب الذي يسجع عليه عند أمن الالتباس؛ لأن الضيق وصف، فهو يكون في الإنسان، ولا يكون الإنسان فيه. وفيه لطيفة أخرى وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط من جميع الجوانب".(1)

ويفهم من تفسير البروسوي أن هذه الآية من باب التشبيه المقلوب.

رابعا : تشبيه المتعدد بالمتعدد :-

ينقسم التشبيه باعتبار تعدد الطرفين إلى أربعة أقسام(2) :-

الأول:- الملفوف: ما أتى فيه بمشبهين أو المشبهات أولاً ثم بالمشبه بهما ثانياً.

الثاني:- المفروق: هو جمع كل مشبه مع ما شبه به.

الثالث:- التسوية: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به.

الرابع:- الجمع: هو أن يتعدد الطرف الثاني (المشبه به) دون الطرف الأول (المشبه).

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن التشبيه المتعدد فقال: "اعلم أني قدمت بيان المركب من التشبيه، وها هنا ما يذكر مع الذي عرفتك أنه مركب، ويقرن إليه في الكتب، وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب، ولا يشارك الذي مضى ذكره في الوصف الذي كان له تشبيهاً مركباً، وذلك أن يكون الكلام معقوداً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة، إلا أن أحدهما لا يدخل الآخر في الشبه ومثاله قول امرئ القيس :-

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً *** لدى وكرها العناب والخشف البالي

وذلك أنه لم يقصد إلى أن يجعل بين الشيئين اتصالاً، وإنما أراد اجتماعاً في مكان فقط".(3)

وقد أشار البروسوي إلى هذا التشبيه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. [هود: 24].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص102.
(2) من بلاغة القرآن، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، ص160.
(3) أسرار البلاغة، ص168.

يقول البروسوي:" فإن تشبيه حال الشيء بحال شيء آخر يستلزم الشيء الأول بالثاني، الأعمى والأصم هم الكافرون، والبصير والسميع هم المؤمنون، والواو في (الأصم والسميع) لعطف الصفة على الصفة؛ كقولك هو الجواد والشجاع فإن الأدخل في المبالغة أن يشبه الكافر بالذي جمع بين العمى والصمم كالموتى، وذلك أن الكفرة حين لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كان بصرهم كلا بصر، وسماعهم كلا سماع، فكان حالهم لانتفاء جدوى البصر والسماع، كحال الموتى الذين فقدوا البصر والسمع".(1)

يفهم من شرح البروسوي أنه قد شبه الكافرين وهو مفرد بصفتين وهما العمى والصمم، وشبه المؤمنين بصفتين وهما الإبصار والسمع، فشبه مفرد بمتعدد في كلا الفريقين.

وقول البروسوي (والواو في الأصم والسميع، لعطف الصفة على الصفة) تجعل التشبيه متعدداً لأن "العطف على وجه الشبه المركب يكون بالفاء، ثم واو المعية؛ لأنها تفيد معنى زائداً على مجرد الجمع وهو الترتيب، أما المتعدد فإنه يعطف بواو العطف التي تفيد الجمع".(2)

ويبين لنا نوع هذا التشبيه وهو تشبيه الجمع، فقد تعدد المشبه به دون المشبه في كلا الفريقين، فشبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وتشبيه فريق المؤمنين بالبصير والسميع.

ويقول الدكتور عبد الفتاح لاشين موضحاً التشبيه في هذه الآية الكريمة: "وبالتأمل في الآية نرى أن الكلام على الترتيب الذي جاء عليه تصحيح للمعنى، حيث إن الحق تبارك وتعالى قال (مثل الفريقين) وقد اقتضى الأمر تفسير (الفريقين) فقال (كالأعمى والأصم، والبصير والسميع) ليكون المشبه به قسمين، وليكون المشبه به وفق عدد الفريقين، أحد الفريقين مبتلى، والآخر معافى، حتى يصبح السؤال عن التسوية بينهما مع تضادهما من باب تجاهل العارف لسؤال عن معلوم، لقصد التوبيخ".(3)

- ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن 56-58].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص122.
(2) من بلاغة القرآن، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، ص171.
(3) البيان في ضوء أساليب القرآن، ص45.

يقول البروسوي: "ومعنى الآية مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان، أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها، فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره".(1)

فقد شبه قاصرات الطرف بالياقوت في الصفاء، وبالمرجان في البياض وجه الشبه متعدد الصفاء والبياض، ويعد من صور التشبيه المتعدد الجمع.

- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125].

يقول البروسوي :" **(كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)** قال الإمام: في كيفية هذا التشبيه وجهان: الأول كما أن الإنسان إذا كلف الصعود إلى السماء، ثقل ذلك التكليف عليه، وعظم وقعه عليه، وقويت نفرته منه، وكذلك الكافر يثقل عليه الإيمان وتعظم نظرته منه.

والثاني: أن يكون التقدير أن قلبه يتباعد عن الإسلام ويتباعد عن قبول الإيمان، فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الأرض إلى السماء انتهى".(2)

فقد شبه الكافر الذي يثقل عليه الإيمان، وينفر منه بالإنسان الذي يكلف الصعود إلى السماء ووجه الشبه الثقل، وشبه الكافر ببعده عن الإسلام ببعد من يصعد من الأرض إلى السماء، ووجه الشبه البعد، وبذلك وجه الشبه متعدد الثقل والبعد، ويعد من صور التشبيه الجمع.

- ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الروم:52].

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: "والكفار في التشبيه كالموتى لانسداد مشاعرهم عن الحق، وهم الذين علم الله قبل خلقهم أنهم لا يؤمنون به ولا برسله، ثم أشار تعالى إلى تشبيه آخر بقوله (ولا تسمع الصم الدعاء) شبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله بالصم".(3)

يتضح أن البروسوي شبه الكفار بالموتى والصم، ووجه الشبه متعدد، وهو موت القلب، وعدم الإصغاء إلى الحق، وبذلك يكون من باب التشبيه المتعدد الجمع.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص307.
(2) المصدر السابق، ج3، ص106.
(3) المصدر السابق، ج7، ص56.

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

يقول البروسوي:"أي ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى، وتطمئن به، ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال إلى أوامره، والانتهاء عما نهوا عنه من غير توانٍ، ولا فتور،... والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقول :"فطال عليهم الأمد" أي الأجل والزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم، أو الأعمار والآمال، وغلبهم الجفاء والقسوة، وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من التوراة والإنجيل إذا تلوهما وسمعوهما، فهي كالحجارة، أو أشد قسوة، والقسوة غلظ القلب، وإنما تحصل من اتباع الشهوة، فإن الشهوة والصفوة لا تجتمعان، وكثير منهم فاسقون: أي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية؛ لفرط القسوة، ففيه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر، يفضي إلى الفسق في آخره".(1)

يتضح من تفسير البروسوي نهي المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب في هذه الصفات الكريهة، صفات الجفاء والقسوة وصفات الفسق، فالمشبه المؤمنون، والمشبه به أهل الكتاب، ووجه الشبه الجفاء والقسوة والفسق، فهو من التشبيه المتعدد الجمع.

والذي يدقق النظر في تفسير البروسوي يجد أنه ذكر التشبيه المتعدد المفرق في بعض الآيات منها:-

- قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 71].

يقول البروسوي: "والتشبيه المذكور في الآية من قبيل التشبيه المفرق، شبه داعي الكفر بالناعق، ونفس الكفرة بالبهائم المنعوق بها، ودعاء داعي الكفرة بنعيق الناعق بالبهائم، والمعنى مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله، وعدم اهتدائهم، كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم ويكلمها ويقول : كلي واشربي وارعي وهي لا تفهم شيئاً مما يقوله لها، كذلك الكفار كالبهائم لا يعقلون عنك ولا عن الله شيئاً. (صم) يعنى كأنهم

(1) روح البيان في تفسير القرآن ، ج9، ص362-363.

يتصاممون عن سماع الحق، (بكم) بمنزلة الخرس في أن لم يستجيبوا لما دعوا إليه، (عمي) بمنزل العمي من حيث إعراضهم عن الدلائل، كأنهم لم يشاهدوها، ثم أنه تعالى لما شبههم بفاقدي هذه القوى الثلاث التي يتوسل بها إلى تمييز الحق من الباطل، واختيار الحق فرع على هذا التشبيه".[1]

يقول عبد الرازق في تفسير الآية الكريمة: "مثل هذا الكافر كمثل هذه البهيمة التي لا تسمع الصوت، ولا تدري ما يقال لها، فكذلك الكافر يقال له ولا ينتفع بما يقال له".[2]

- وقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

يقول البروسوي: "يجوز أن يكون التشبيه من قبيل المفرق، بأن يشبه زلفاهم من الله تعالى وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة، ووجه الشبه الزيادة، ويشبه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالمطر القوي والضعيف منه، من حيث إن كل واحد منهما سبب لزيادة في الحملة، لأن النفقتين تزيدان حسن حالهم كما أن المطرين يزيدان ثمرة الجنة".[3]

خامساً :- التشبيه الضمني :-

وهو " تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب، وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن".[4]

وهذا نوع من التشبيه أنفذ في النفوس؛ لأنه يكتفي بالتلميح، ويفهم من المعنى، مما يزيد من قوة تأثيره على النفوس، ويكثر في الحكم والأمثال والمواعظ. [5]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص277.
(2) تفسير القرآن، للإمام عبد الرزاق بن هشام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ج1، مكتبة الراشد، الرياض، ط1، 1989م، ص65.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص431.
(4) انظر بغية الإيضاح، د.عبد العال الصعيدي، مكتبة الآداب ومطبعتها ،ج3، ص38، والبلاغة الواضحة علي الجارم ومصطفى أمين، المكتبة العلمية بيروت، ط11، 2002،ص45، وانظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، 1982م، ص53.
(5) من بلاغة القرآن، د.محمد، د.نعمان علوان، ص177.

وهو يفهم ضمناً لا صراحة، ويؤتى به ليدلل على صحة الحكم، وعلى دعوى أنها صحيحة، فأحياناً يذكر المتكلم أمراً غريباً يستبعد حدوثه ويجد في نفسه حاجة إلى أن يسوق دليلاً ليزيل عنه الغرابة، حينئذٍ يأتي بتشبيه يبدو كأنه البرهان، لم يكن على صورة من صور التشبيه الصريح. (1)

ومثاله قوله تعالى ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

المتأمل لتفسير البروسوي لهذه الآية يجده محدد نوع هذه الصورة من صور التشبيه التمثيلي يقول: "تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ،ومن حيث تعلقه بصاحبه، على أفحش وجه، وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً، يعنى شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الإنسان ميتاً تشبيهاً تمثيلياً، وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة، ولا شك أن الهيئة المشبه بها أفحش جنس التناول وأقبحه، فيكون التمثيل المذكور تصويراً للاغتياب بأقبح الصور، وذلك أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه، كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه أشرف من لحمه ودمه، فإذا لم يحسن للعاقل أكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الأولى، خصوصاً هو أن أكل الميتة هو المتناهي في كراهة النفوس ونفور الطباع".(2)

وبذلك اعتبر المفسر التشبيه من صور التشبيه التمثيلي؛ لأن المشبه جاء مركباً، والمشبه به مركباً لقوله:"عبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة"، ولكن جاء وجه الشبه مفرداً، وهذا يخالف رأي البلغاء بأن وجه الشبه في التشبيه التمثيلي لا بد أن يأتي منتزع من عدة صور، ليصبح شيئاً واحداً، وبذلك يخرج هذا التشبيه عن كونه تشبيهاً تمثيلياً ويصبح تشبيهاً ضمنياً.

وقد ذكر الزمخشري هذا التشبيه وبينه فقال في الآية: "تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتى منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخاً، ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جُعل ميتاً".(3)

---

(1) البيان في ضوء أساليب القرآن، ص103.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص87.

(3) الكشاف، ج4، ص260، وانظر تفسير أبي السعود، ج6، ص118.

أغراض التشبيه :-

منها ما يعود إلى المشبه، ومنها ما يعود على المشبه به أنواع. (1)

ويقول البروسوي: " كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد". (2)

1- بيان حال المشبه :-

إذا كان المشبه مبهماً وغير واضح، فنوضحه بذكر المشبه به. (3)

- ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر:31].

يقول البروسوي :" فصاروا لأجل تلك الصيحة بعد أن كانوا في نضارة وطيب عيش،... كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة، أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء".(4)

شبه حال قوم صالح عندما أهلكهم بالصيحة، بالشجر اليابس المنكسر الذي يعمل منه الحظائر.

- وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6-7].

يقول البروسوي :" أي مصروعين مشبهين بأصول النخل".

شبه الله حال قوم هود عندما أهلكهم بالريح العاتية بأصول النخل الفارغة.

- وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112].

يقول البروسوي: "أي كما جعلنا لك عدواً كأبي جهل وغيره من كفار قريش، جعلنا لكل نبي قبلك (عدوا)، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ... وكما ابتلي هو وأمته بكيد الأعداء، ابتلي جميع الأنبياء وأممهم.

(1) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص83.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص68-69.
(3) من بلاغة القرآن، د.محمد،د.نعمان علوان، ص187.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص276.

(يوحي بعضهم إلى بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم، وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ".(1)

شبه حال كيد الأعداء لسيدنا محمد ﷺ بكيد سائر الأنبياء والأمم السابقة ووجه الشبه (يوحي بعضهم إلى بعض) أي يتآمرون سراً لكيد الأنبياء.

2- بيان مقدار حال المشبه :-

- قوله تعالى ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن:24].

يقول البروسوي :" أي كالجبال الشاهقة عظماً وارتفاعاً وهو حال من ضمير المنشآت والسفن في البحر كالجبال في البر كما أن الإبل في البر كالسفن في البحر".(2)

ويقول الرماني في تفسير هذه الآية:" تشبيه قد أخرج مالا قوة له في الصفة إلى ما له القوة فيها، وقد اجتمعا في العظم، إلا أن الجبال أعظم، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها".(3)

ويفهم من تفسير البروسوي والرماني بيان حال المشبه قوة وعظمة عندما شبه السفن بالجبال لتحديد ضخامتها وعظمها.

- وقوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل:77].

يقول البروسوي: "بل أمرها فيما يذكر من السرعة والسهولة أقرب من لمح البصر وأسرع زماناً".(4)

شبه أمر الساعة بلمح البصر لتقدير قربها وسرعة زمانها.

- وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: 51-55].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص92-93.

(2) المصدر السابق، ج9، ص295.

(3) كتاب النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص9.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص62.

ويقول البروسوي: "والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم، الذي هو كالمهل، فإذا ملئوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شراب الحميم، الذي يقطِّع أمعاءهم فيشربونه شرب الإبل العطاش، وفيه بيان لزيادة العذاب أيضاً، أي لا يكون شربكم أيها الضالون كشرب من يشرب ماءً حاراً منتناً، فإنه يمسك عنه إذا وجده مؤلماً معذباً، بخلاف شربكم فإنكم تلزمون بأن تشربوا منه مثل ما يشرب الأهيم فإنه يشرب ولا يروى".(1)

وضح الله مقدار ظمأ الكافرين يوم القيامة عندما شبههم بالإبل العطاش، التي تشرب ولا تروى أبداً لداء يصيبها، ولا تزال تطلب المزيد من الشراب حتى تهلك.

3- تقرير حالة المشبه في ذهن السامع :-

- ومنه قوله تعالى **﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:261].

يقول البروسوي :" نفقاتهم تشبه الحبة (كمثل حبة) الزراع زرعها في أرض عامرة... فمثل المتصدق كمثل الزراع إذا كان حاذقاً في عمله، وكان البذر جيداً، وكانت الأرض عامرة يكون الزرع أكثر. فكذلك المتصدق إذا كان صالحاً، والمال طيباً، ووضع في موضعه يكون الثواب أكثر".(2)

يصور القرآن من يتصدق في سبيل الله ابتغاء مرضاته، ثم يجني ثماره يوم القيامة جزاءً وافياً وثواباً كبيراً بحال أرض عامرة يكون البذر جيداً، والزارع ماهراً في عمله، فيجنى ثمراً طيباً وزرعاً أكثر، والغرض من التشبيه تقرير حال المشبه في ذهن السامع وأثره في نفسه ورغبته.

يقول لاشين: "فهذا التشبيه له أثر في النفس، ووقع في القلب، فتبذل النفوس للإنفاق المال راضية مرضية".(3)

- ومن قوله تعالى **﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾** [إبراهيم:18].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص329.

(2) المصدر السابق، ج1، ص423.

(3) البيان في ضوء أساليب القرآن، ص58.

يقول البروسوي: "شبه صنائع الكفار من الصدقة ونحو ذلك مما هو من باب المكارم في حبوطها وذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والإيمان به، وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف... فكما لا ينتفع بذلك الرماد المطير، كذلك لا ينتفع بالأعمال المقرونة بالكفر والشرك".(1)

فقد شبه القرآن ضياع أعمال الكفار التي لا أثر لها، بالرماد الذي لا يقوى على البقاء أمام الريح العاصف، والغرض من التشبيه تقرير حال المشبه في ذهن السامع، من خلال تصوير الأمور العقلية في صورة حسية، حتى تستقر الصورة في ذهن السامع.

- ومن قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5].

يقول البروسوي: "أي علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود، ومثلهم صفتهم العجيبة، ولم يعملوا بما فيها من الآيات... كمثل الحمار؛ لأن الكفر من الجهالة، فالتشبيه به لزيادة التحقير والإهانة، ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة".(2)

ويقول الرماني في تفسيره: "أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في الجهل لما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية".(3)

وبذلك يتحقق الغرض من التشبيه، لأن المشبه به أكثر بياناً في وجه الشبه من المشبه، مما يجعل الصورة تتمكن في النفس وتستقر في ذهن السامع.

4- تزيين التشبيه :-

- منه قوله تعالى ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:22-23].

يقول البروسوي: "صفة لحور، أو حال، أي الدر المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين، أو المصون مما يضر به ويدنسه في الصفاء والنقاء، ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء، دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص431-432.
(2) المصدر السابق، ج9، ص510.
(3) كتاب النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص8.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص322.

- وقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:58].

- وقوله تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: 49]

- وقوله تعالى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ [الإنسان: 19].

فالتشبيه في الآيات لم يأت لبيان حال المشبه فقط، وإنما أراد تزيين وتحسين حال المشبه. فيزين المشبه ويظهر في أبهى صورة، تبعث الراحة في النفس، وتبهج القلب لترغبها في الجنة.

5- تقبيح المشبه :-

فقد حفل القرآن الكريم بكثير من الصور ليقبح حال المنافقين والكافرين، والذين يضلون عن طريق الحق، وتظهر في صورة منفرة تتقزز منها النفس لترغب عنها.

- ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4].

يقول البروسوي :" شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله مستندين فيها، بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والخير والانتفاع، ولذا اعتبر في الخشب التسنيد لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من الانتفاع، فكما أن مثل هذا الخشب لا نفع فيه فكذا هم لا نفع فيهم"(1)

شبه القرآن المنافقين بالخشب المسندة التي لا نفع فيها، وهي صورة تبعث في القلوب كراهتهم، والغرض من التشبيه تقبيح المشبه.

- وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 19].

(1) روح البيان في تفسير، ج9، ص526.

يقول البروسوي: "والذين كفروا ينتفعون في الدنيا بمتاعها أياماً قلائل، ويعيشون حريصين غافلين عن عواقبهم كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح".[1]

شبه حال الكفار في غفلتهم وهم يتمتعون بالدنيا، بحال الأنعام التي تتمتع في معالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح، والغرض من التشبيه تقبيح المشبه لتنفير الناس منهم.

ومثاله أيضاً بعض الآيات القرآنية التي سبق شرحها وتفسيرها منها :-

- قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: 275].
- وقوله تعالى ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: 171].
- وقوله تعالى ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [الصافات: 64-65].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص561-562.

المبحث الثاني

المجاز

أولا تعريف المجاز:-

المجاز لغة:- "من جزت الطريق، وجاز الموضع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجاز غيره، وجازه سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته والمجاز والمجازة الموضع".(1)

ويقول ابن فارس:- "وأما المجاز، إنما مأخوذ من جاز، يجوز، إذا استنّ ماضياً تقول:- جاز بنا فلان، وجاز علينا فارس، هذا هو الأصل".(2)

وفي أساس البلاغة: أرض مجازة كثيرة الجوز، وجزت المكان وأجزته، وجاوزته وتجاوزته، قال امرؤ القيس :-

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى *** بنا بطنُ خبْتٍ ذي خفاف عقنقل

وأعانك الله على إجازة الصراط، وهو مجاز القوم ومجازتهم".(3)

المجاز اصطلاحا :-

معنى المجاز عند أبي عبيدة:- "عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته".(4)

وحقيقة أن كلمة مجاز عند أبي عبيدة لم تعنِ المجاز بمعناه الاصطلاحي الذي حدده علماء البلاغة، وإنما كانت تعنى مجرد تفسير الكلمة بكل معناها، يقول في قوله تعالى مجازه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5] أي علا".(5)

وقد فسر عبد القاهر الجرجاني المجاز على هذا النحو، فيقول: "المجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في موضع واصفها، لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع، إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف

---

(1) اللسان : (جوز)

(2) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص149.

(3) أساس البلاغة، الزمخشري،مكتبة المشكاة الإسلامية (جوز)، ص254.

(4) مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ، التيمي ، عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج1، ص19

(5) المصدر السابق، ج2، ص15.

فيها، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز ".[1]

وذكر الجرجاني العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للمجاز فقال : "المجاز فعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً".[2]

وقال السكاكي: "وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع ".[3]

وقال ابن رشيق: "المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن مجالاً محضاً، فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به – أعني اسم المجاز– باباً بعينه وذلك أن يسمى باسم ما قاربه أو كان منه بسبب، كما قال جرير بن عطية :

إذا سقط السماء بأرضِ قوم *** رعيناهُ وإن كانوا غضاباً

أراد المطر لقربه من السماء، ويجوز أن يريد بالسماء السحاب ".[4]

وقيل في المجاز: "المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح في المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع".[5]

ويوضح ابن القيم الجوزية سبب استعمال العرب المجاز يقول: "فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام، وكثرة معاني الألفاظ، ليكثر الالتذاذ بها، فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة، ... ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً مورداً، عذب الارتشاف، وسبيلاً مسلوكاً لهم على سلوكه انعكاف، ولذلك كثر في

---

(1) أسرار البلاغة ،ص304
(2) المصدر السابق، ص342
(3) مفتاح العلوم، ص153.
(4) العمدة، ج1، ص266.
(5) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط6، ص231.

كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق، وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائق، ولفظ فائق".(1)

ويبدو أن العرب كانت تميل إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، لما فيها من الدقة والرقة في المعنى، فتصبو النفس للراحة والسرور، ومن ثم يتحدد مدلول المجاز على أنه مقابل الحقيقة.

وهو "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي".(2)

ثانياً :- أقسام المجاز :-

يقسم عبد القاهر الجرجاني المجاز قسمين: المجاز اللغوي والعقلي يقول: "واعلم أن المجاز على ضربين؛ مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل ما ليس بالسبع المعروف، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة".(3)

وينقسم المجاز إلى قسمين: عقلي ومرسل (4).

وقد ذكر البروسوي المجاز في تفسيره، وتحدث عن أقسامه، كالمجاز العقلي، والمجاز المرسل وعلاقات كل منهما.

(1) المجاز العقلي :-

"وهو ما يعرف بمجاز التركيب، أو مجاز الإسناد، وعلاقته الملابسة، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له".(5)

"وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة، مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي".(6)

---

(1) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان والبديع، ابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص10.
(2) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص231.
(3) أسرار البلاغة، ص355.
(4) من بلاغة القرآن، د.محمد علوان، د. نعمان علوان، ص199.
(5) معترك الأقران، ج1، ص186.
(6) من بلاغة القرآن، د. محمد علوان، د. نعمان علوان، ص199.

والمجاز العقلي له علاقات مختلفة منها :-

1- السببية:-

وذكره البروسوي باسم الإسناد المجازي في قوله تعالى:- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26].

يقول البروسوي في تفسيره (يضل به) "وإسناد الإضلال أي: خلق الضلال إليه سبحانه مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى، وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم".(1)

فجعل إسناد الإضلال إلى الله سبحانه بكونه سبباً فهو من الإسناد المجازي وما يؤكد ذلك قول الزمخشري في تفسيره هذه الآية :" وأسند الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب، لأنه لما ضرب المثل فضلَّ به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم ".(2)

- وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

يقول البروسوي: "فما ربحت تجارتهم" ترشيح للمجاز أي: ماربحوا فيها، فإن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة، فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث أنها سبب الربح والخسران".(3)

فقد أسند الفعل (ربح) إلى التجارة، وهي سبب الربح والخسران، وكان الأصل أن تسند إلى أرباب التجارة وهذا ما يعرف بالمجاز العقلي وعلاقته سببية.

وذكر الشوكاني تعريف المجاز الإسنادي من خلال تفسيره هذه الآية "أسند الربح إليها على عادة العرب في قولهم: ربح بيعك وخسرت صفقتك، وهو من الإسناد المجازي وهو إسناد الفعل إلى ملابس للفاعل، كما هو مقرر في علم المعاني".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص67.
(2) الكشاف، ج1، ص245.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص67.
(4) فتح القدير، ج1، ص78.

- وقوله تعالى: ﴿آتونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:96].

يقول البروسوي: "(حتى إذا جعله ناراً) أي: المنفوخ فيه وهو زبر الحديد، كالنار في الحرارة والهيئة، وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة".(1)

فقد أسند فعل الجعل إلى ذي القرنين إسناداً مجازياً علاقته سببية، لأن ذي القرنين هو المسئول عن التنفيذ ونستأنس بتفسير الشوكاني: "إسناد الجعل إلى ذي القرنين مجاز لكونه الآمر بالنفخ".(2)

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:61].

يقول البروسوي :"(مما تنبت الأرض) إسناد مجازي بإقامة القابل وهو الأرض مقام الفاعل وهو الله تعالى".(3)

- وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأنعام (40).

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: "(أرأيتكم) الكاف حرف خطاب أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الإسناد لا محل له من الإعراب كالكاف في إياك، وذلك الكاف يدل على أحوال المخاطب من الإفراد والتذكير ونحوها، فهو يطابق ما يراد به والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة أبداً نحو أرأيتك، أرأيتكما، أرأيتكم ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية، لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها، أي

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص300.
(2) فتح القدير، ج3، ص394.
(3) المصدر السابق، ج1، ص151.

أخبروني فجعل العلم أو الإبصار الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار وجعل الاستفهام الذي للتبكيت، والإلجاء إلى الإقرار مجازاً عن الأمر بجامع الطلب".[(1)]

- وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [طـه: 80]

يقول البروسوي :"(وواعدناكم جانب الطور الأيمن) بالنصب على أنه صفة للمضاف، أي واعدناكم بواسطة نبيكم إتيان جانبه الأيمن، نظراً إلى السالك من مصر إلى الشام، وإلا فليس للجبل يمين ولا يسار أي: إتيان موسى للمناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى نظراً إلى ملابستها إياهم، وسراية منفعتها إليهم".[(2)]

فأسند فعل المواعدة إلى بنى إسرائيل إسناداً مجازياً علاقته سببية، لأن المواعدة لموسى، وأسندت إليهم نظراً إلى ملابستها إياهم.

- وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:37].

يقول البروسوي :" (تتقلب فيه القلوب والأبصار) صفة ليومٍ والتقلب والتغير من حال، وقلب الإنسان سمي به لكثرة تقلبه من وجه إلى وجه، والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التي فيها والمعنى: تضطرب وتتغير في أنفسها وتنتقل عن أماكنها من الهول والفزع فتتقلب القلوب في الجوف وترتفع في الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج".[(3)]

يفهم من تفسير البروسوي أن هذه الآية صورة من صور المجاز العقلي، فقد أسند إلى القلوب، والأبصار التقلب، والاضطراب من الهول والفزع.

- وقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:57].

يقول البروسوي: "أي فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب، فحملتهم عليه، يعنى أنهم وإن خرجوا باختيارهم، إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى، إسناداً مجازياً من حيث الخلق المذكور".[(4)]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص31.
(2) المصدر السابق، ج5، ص415.
(3) المصدر السابق، ج6، ص171.
(4) المصدر السابق، ج6، ص295.

- وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

يقول البروسوي: "(أنبتت) أي: أخرجت وإسناد الإنبات إلى الحبة مجازاً".(1)

- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:22].

يقول البروسوي: "(أين شركاؤكم) أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله، فالإضافة مجازية باعتبار إثباتهم الشركة لآلهتهم".(2)

إثبات الشركة لآلهتهم على سبيل المجاز العقلي وعلاقته سببية، باعتبار "المجاز يقع في الإثبات تارة، وفي المثبت تارة، وأنه إذا وقع في الإثبات فهو طالع عليك من جهة العقل...، وإذا عرض في المثبت فهو آتيك من ناحية اللغة".(3)

- وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم:36].

يقول البروسوي: "(رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) فكانت الأصنام سبباً لضلالتهم، فنسب الإضلال إليهن، وإن لم يكن منهن عمل في الحقيقة".(4)

إسناد الضلال إلى الأصنام، على سبيل المجاز العقلي علاقته سببية، لأن الأصنام سبب لضلالتهم.

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف:11].

يقول البروسوي:" أي خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور بصورته المخصوصة، ثم صورناه عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل، وتصويرهم تنزيلاً لخلقه وتصويره منزلة خلق

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص423.
(2) المصدر السابق، ج3، ص20.
(3) أنظر : أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص323.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص450.

الكل، وتصويرهم من حيث إن المقصود من خلقه وتصويره تعمير الأرض بأولاده، فكان خلقه بمنزلة خلق أولاده، فالإسناد في ضمير الجمع مجازي".[1]

أسند ضمير الجمع إلى خلق وتصوير أولاد آدم إسناداً مجازياً علاقته سببية، لأن المقصود خلق آدم وتصويره، وإنما عبر عن خلق نفس آدم وتصويره بخلق الكل، وتصويرهم تنزيلاً لخلقه وتصويره منزلة خلق الكل.

- وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء:150-151].

" كان مقتضى الظاهر ولا تطيعوا المسرفين بلا إقحام أمر، فإن الطاعة إنما يكون للأمر على صيغة الفاعل".[2]

أسند فعل الطاعة إلى الأمر إسناداً مجازياً عقلياً علاقته سببية، لأن الأمر لا يطاع وإنما صاحبه وفاعله.

- وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:27].

قوله (ينزع عنهما لباسهما) يقول البروسوي: "أسند نزع اللباس إلى الشيطان مع أنه لم يباشر ذلك لكونه سبباً في ذلك النزع".[3]

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:2].

"(وإذا تليت عليهم آياته) أي: تلك الآيات والإسناد مجازي".[4]

فأسند زيادة الإيمان إلى الآيات لكونها سبباً فيها.

- وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم:3].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص148.
(2) المصدر السابق، ج6، ص318.
(3) المصدر السابق، ج3، ص158.
(4) المصدر السابق، ج3، ص330.

يقول البروسوي في (ضلال بعيد): "أي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا عنه بمراحل، والبعد في الحقيقة من أحوال الضلال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله مجازاً للمبالغة".(1)

إسناد البعد إلى الضلال مجاز عقلي، علاقته سببية؛ لأن الذي يتباعد عن الطريق يكون سبباً في ضلاله.

- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8].

يقول: "(وما تغيض الأرحام وما تزداد) فالغيوض والزيادة لنفس الأرحام في الظاهر، ولما فيها في الحقيقة، وإن كان متعدياً فهما لله تعالى وعلى كلا التقديرين فالإسناد مجازي".(2)

أسند الفعل الغيوض والزيادة إلى الأرحام مجازاً عقلياً، علاقته سببية؛ لأنهما في الحقيقة لله تعالى.

- وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: 37].

يقول: "(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل، بل هي سبب لحفظ الشيء معبراً بها عنه مجازاً".(3)

- وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس:71].

(إن كان كبر عليكم مقامي) يقول: "أي عظم وشق، أي: نفسي كما يقال فعلته بمكان فلان أي لفلان".(4)

أسند الكبر إلى المقام والمكانة مجازاً عقلياً؛ لأنه سبب فيه، وفي الحقيقة إسناد الكبر إلى سيدنا نوح عليه السلام.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص417.
(2) المصدر السابق، ج4، ص366
(3) المصدر السابق، ج4، ص132.
(4) المصدر السابق، ج4، ص71.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:58].

قوله (معذبوها) "أي معذبو أهلها على الإسناد المجازي".(1)

- وقوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:257].

قوله (يخرجونهم من الظلمات إلى النور): "وإسناد الإخراج إلى الطاغوت مجاز لكونها سبباً له، وذلك ينافي كون المخرج حقيقة هو الله تعالى".(2)

- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:283].

يقول البروسوي: "(فإنه آثم قلبه) فاعل أثم كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ... فلما كان الإثم مقترناً بالقلب أسند إليه؛ لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ...، ولأن القلب هو رأس الأعراض التي إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله".(3)

أسند اسم الفاعل (آثم) إلى القلب مجازاً عقلياً علاقته سببية، لأن القلب سبب الآثام وهي من أفعال القلوب أصلاً.

2- العلاقة المكانية :-

وفيها يسند الفعل إلى المكان الذي وقع فيه الفعل.

- وقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: 1-2]

يقول البروسوي: "(أخرجت الأرض أثقالها) المعنى وأخرجت الأرض ما في جوفها من دفائنها وكنوزها".(4)

يفهم من كلام البروسوي أن إسناد الإخراج إلى الأرض مجازا عقليا علاقته مكانية ، وترى الباحثة أن المخرج الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وعليه يكون مجاز عقلي علاقته سببية.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص176.
(2) المصدر السابق، ج1، ص414.
(3) المصدر السابق، ج1، ص449.
(4) المصدر السابق، ج10، ص503.

- كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25].

يقول البروسوي: "(جنات تجري من تحتها الأنهار) المراد بها ماؤها، فإن قلت كيف جري الأنهار من تحتها؟ قلت : كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية".(1)

فقد أسند الجري إلى الأنهار مجازاً وهو مكان الماء، والجاري حقيقة هو الماء، وهذا يتوافق مع الشوكاني من خلال تفسيره هذه الآية: "المراد الماء الذي يجري فيها، وأسند الجري إليها مجازاً، والجاري حقيقة هو الماء".(2)

- وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ [الرعد: 17].

يقول البروسوي في تفسيره للآية: "فسالت أودية ذلك الماء والسيلان والجريان، وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة، والمراد هنا الأنهار بطريق ذكر المحل، وإرادة الحال".(3)

يفهم من تفسير البروسوي جعلها صورة من صور المجاز المرسل، وعلاقته المحلية من خلال قوله: "المراد هنا الأنهار بطريق ذكر المحل وإرادة الحال" وهذا يخالف تفسير أبي السعود فقال: "فإن أريد بها ما يسيل فيها مجازاً فإسناد السيلان إليها حقيقي، وإن أريد معناها الحقيقي، فالإسناد مجازي كما في جري النهر".(4)

أسند الفعل (يسيل) إلى الأودية، وهو مكان الماء إسناداً مجازياً، لأن الذي يسيل ويتحول سيلاً هو الماء، فأرجح تفسير أبي السعود بأن الصورة من صور المجاز العقلي، وعلاقته المكانية.

- وقوله تعالى ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:92].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص85.

(2) فتح القدير، ج1، ص90.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص 379.

(4) تفسير أبي السعود، ج3، ص213.

يقول البروسوي: "(وأعينهم تفيض من الدمع) وإسناد الفيض إلى العين مجازي كسال الميزاب، والأصل يفيض دمعها عدل إلى هذه الصور، للدلالة على المبالغة في فيضان الدمع، كأن العين كلها دمع فياض".(1)

أسند الفعل الفيض إلى العين، وهو مكان الدمع إسناداً مجازياً، لأن العين لا تفيض إنما حقيقة الدمع، وذلك على سبيل المجاز العقلي وعلاقته المكانية.

3- علاقته الزمانية :-

وفيه يسند الفعل إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل.

- **كما في قوله تعالى:** ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ [يوسف:48].

يقول البروسوي: "(والنهار مبصراً) وإسناد الإبصار إلى النهار مجازي، والمراد يبصر فيه كقوله نهاره صائم، وليله قائم، أي صام في نهاره وقام في ليله".(2)

فأسند الإبصار إلى النهار، والنهار لا يبصر، وإنما يبصر من هم يسعون في النهار، لتوفير ما يحتاجون إليه، فالإسناد هنا إلى زمان الإبصار في النهار.

- وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ [يوسف:48].

يقول البروسوي: "(يأكلن ما قدمتم لهن) أي يأكل أهلهن ما ادخرتم من الحبوب المتروكة في سنابلها، وفيه تنبيه على أن أمره بذلك كان لوقت الضرورة، وإسناد الأكل إليهم مع أنه حال الناس فيهن مجاز كما في نهاره صائم".(3)

- ومنه قوله تعالى: ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [هود: 26].

يقول البروسوي: "ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي، للمبالغة يعنى أن إسناد الأليم إلى اليوم إسناد إلى الظرف، كقولك نهاره صائم، وإسناده إلى العذاب إسناد إلى الوصف، كقولك جد جده، والمتألم حقيقة هو الشخص المعذب المدرك لا وصفه ولا زمانه، وإذا وصفنا

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص507.
(2) المصدر السابق، ج4، ص69.
(3) المصدر السابق، ج4، ص285.

بالتألم دل على أن الشخص بلغ في تألمه إلى حيث سرى ما به من التألم إلى ما يلابسه من الزمان والأوصاف".(1)

فأسند العذاب إلى اليوم، واليوم هو الزمن الذي يقع فيه العذاب، وعليه فالمجاز عقلي وعلاقته زمانية، وإسناد العذاب إلى الوصف بالتألم، فمعمول عليه، وعليه تكون العلاقة مفعولية؛ لأن الأليم صفة مشبهة باسم الفاعل، والمراد إسناد الفعل إلى اسم المفعول.

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:36].

"(أربعة حرم) أي أربعة أشهر حرم يحرم فيها القتال جعلت أنفس الأشهر حرماً لكونها أزمنة، لحرمة ما حل فيها من القتال، وهو من قبيل إسناد الحكم إلى ظرفه إسناداً مجازياً".(2)

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124].

يقول البروسوي: "(سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله) أي يوم القيامة فهو منصوب بقوله سيصيب مجاز عن حشرهم يوم القيامة ".(3)

أسند الفعل حشرهم إلى يوم القيامة.

- وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:30]

يقول البروسوي :"(هنالك) أي في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، 125.
(2) المصدر السابق، ج3، ص443.
(3) المصدر السابق، ج3، ص104.
(4) المصدر السابق، ج4، ص45.

فقوله استعارة المقصود به المجاز (ظرف المكان والزمان) أي في ذلك الوقت يدل على علاقة المجاز الزمانية يعنى أي اسند البلوى والاختبار في ذلك الوقت إسناداً مجازياً، وهذا يتوافق مع تفسير الزمخشري لهذه الآية يقول: "(هنالك) في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان".(1)

ويخالف قول الشوكاني: "أو في ذلك الوقت على استعارة اسم الزمان للمكان، تذوق كل نفس وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل".(2)

4- علاقته المصدرية :-

وهو أن يسند فيه الفعل إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي.

- كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13].

يقول البروسوي: "حسن إسناد الفعل في الآية إلى المصدر، وهو النفخة لكونها نفخاً مقيداً بالواحدة والمرة، لا نفخاً مجرداً مبهماً، والمراد ههنا النفخة الأولى التي لا يبقى عندها حيوان إلا مات".(3)

وعليه يكون المجاز هنا مجازا عقليا علاقته مصدرية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اِتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد:37].

يقول البروسوي: "(أنزلناه حكماً) فالحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطاً من القرآن، كان سبب الحكم فأسند إليه الحكم إسناداً مجازياً، ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة، ويقال حكماً أي محكماً لا يقبل النسخ ولا التغيير".(4)

أسند الفعل إلى المصدر وهو الحكم إسناداً مجازياً، ولم يسنده إلى الفاعل الحقيقي، وهو الحاكم وعليه تكون العلاقة مصدرية.

- وقوله تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:21]

---

(1) الكشاف، ج3، ص134.
(2) فتح القدير، ج2، ص556.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص137.
(4) المصدر السابق، ج4، ص404.

يقول البروسوي: "(فإذا عزم الأمر) والمعنى: فإذا وجدوا في أمر الجهاد وافترض القتال وأسند العزم إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً".[1]

أسند الفعل إلى المصدر (الأمر) إسناداً مجازياً بدلاً من الفاعل الحقيقي، وهو الآمر صاحب الأمر، وعليه تكون علاقته مصدرية، وهذا ما يوافق تفسير الزمخشري لهذه الآية: "(فإذا عزم الأمر) أي جد، والعزم والجد لأصحاب الأمر، وإنما يسندان إلى الأمر إسناداً مجازياً".[2]

5- علاقته المفعولية :-

وهو أن يسند فيها الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمراد اسم المفعول.

- قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء:78].

يقول البروسوي: "(كنا لحكمهم) أي لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما، فإن قيل كيف يجوز أن يجعل الضمير لمجموع الحاكمين والمتحاكمين، وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة، وإنما يضاف إلى أحدهما فقط؛ لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان، فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً، وأيضاً أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز؛ لأن إضافته إلى الفاعل حقيقة وإلى المفعول مجاز".[3]

أسند المصدر إلى المفعول إسناداً مجازياً؛ لأن الإسناد الحقيقي إلى الفاعل، وعليه تكون علاقته مفعولية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة:6-7].

يقول البروسوي في تفسيره هذه الآية: "(فهو في عيشة راضية) من قبيل الإسناد إلى السبب؛ لأن العيش سبب الرضى من منعم العيش، وقال بعضهم: راضية أي: راض صاحبها عنها".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص576.
(2) الكشاف، ج5، ص525.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص511.
(4) المصدر السابق، ج10، ص512.

أسند الفعل إلى السبب لأن العيش سبب الرضى على سبيل المجاز العقلي علاقته السببية، وهذا يخالف قول الشوكاني والزجاج :" ومعنى عيشة راضية أي مرضية يرضاها صاحبها، قال الزجاج :" أي ذات رضى يرضاها صاحبها، وقيل عيشة راضية : أي فاعلة للرضى، وهو اللين والانقياد لأهلها، والعيشة كلمة تجمع النعم في الجنة ".(1)

أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل (راضية) وأراد اسم المفعول (مرضية) ؛ لأن الذي يرضى هو صاحب العيشة وليست العيشة نفسها، وعلى ذلك أرجح تفسير الشوكاني والزجاج لكون الرضى ينبع من النفس.

- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43].

يقول البروسوي: "(لا عاصم) قيل بمعنى المعصوم كقوله تعالى "من ماء دافق" أي مدفوق، (عيشة راضية) بمعنى مرضية، أي لا معصوم من عذاب الله إلا من رحم الله".(2)

وقال: "المراد هنا المعصوم فهو مصدر من عصم المبني للمفعول، ويكون من رحم بمعنى المرحومين والاستثناء متصلاً كالأولين، لأن المرحوم من جنس المعصوم".(3)

- ومنه كما ذكر البروسوي قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ من ماءٍ دافقْ﴾ [الطارق:6].

"قال بعضهم أي مدفوق ومصبوب في الرحم نحو سر، كاتم أي مكتوم، وعيشة راضية أي مرضية، فهو فاعل بمعنى المفعول، والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه ما بعده في الآية".(4)

وقد بين الزمخشري هذا الإسناد المجازي فقال: "أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه".(5)

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:59].

يقول البروسوي: "أي بينة ذات أبصار على أن يكون للنسبة، فالتاء للمبالغة وأسند إليه حال من يشاهدها مجازاً".(6)

---

(1) فتح القدير، ج5، ص581.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص141
(3) المصدر السابق، ج4، ص141-142.
(4) المصدر السابق، ج10، ص405.
(5) الكشاف، ج6، ص353.
(6) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص177.

أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل (مُبصِرة)، وأراد اسم المفعول (مُبصَرة)؛ لأن الذي يبصر من يشاهدها وليست الناقة نفسها.

6- علاقته الفاعلية :-

وهو أن يسند المبني للمفعول إلى الفاعل.

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾ [الإسراء: 60].

يقول البروسوي :" (الشجرة الملعونة) والمراد بلعنها فيه لعن طاعمها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة".[1]

أسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول (الملعونة) وأراد صيغة الفاعل (طاعمها) لأن المقصود باللعنة هو طاعمها وليست الشجرة نفسها. وعليه تكون علاقته فاعلية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء:45].

يقول البروسوي: "(حجاباً مستوراً) عن الحس بمعنى غير حسي مشاهد فمستور على موضوعه، أو ذا ستر، فصيغته مفعول بالنسبة كقولهم سيل مفعم أي ذو إفعام من أفعمت الإناء أي ملأته هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله في هذه الآية"[2]

يتضح من قول البروسوي أنه يتفق مع أبي السعود كون الإسناد في الآية إسناداً مجازياً علاقته الفاعلية، لأنه أسند الفعل على صيغة اسم المفعول (مستوراً) وأراد صيغة الفاعل (ساترا) فالحجاب يكون ساتراً، ولا يكون مستوراً.

2- المجاز المرسل:-

عرفه الهاشمي: "هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي".[3]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص178.
(2) المصدر السابق، ج5، ص167.
(3) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص257.

والإرسال في اللغة: "الإطلاق وأرسله أطلقه، ولما كانت الاستعارة مقيدة ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به كان المجاز المرسل مطلقاً من هذا القيد"(1).

والمجاز المرسل له علاقات كثيرة بسبب إطلاقه، والمقصود بهذه العلاقة "أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين، ويصوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر".(2)

حقيقة يكون تلازم وترابط بين المعنى الحقيقي والمجازي، ويصح الانتقال من الأول إلى الثاني(3).

وقد ذكر البروسوي هذا النوع من المجاز بلفظه وبين بعضاً من علاقاته، أهمها :-

1- <u>السببية :-</u>

هو أن يطلق السبب ويري المسبب.

- قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف:57].

يقول البروسوي: "(بشراً بين يدي رحمته) أي قدم رحمته التي هي المطر فإن الصبا تثير السحاب... وفي الآية إطلاق الرحمة على المطر".(4)

أطلق الرحمة على المطر على سبيل المجاز المرسل وعلاقته السببية لأن اليد سبب الرحمة.

- ومنه قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾** الحج (60).

يقول البروسوي: "(عاقب بمثل ما عوقب به) أو على سبيل المجاز المرسل فإنه ما وقع ابتداء سبب لما وقع جزاء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب".(5)

---

(1) علم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، مصر، ص144.

(2) أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير، الشئون الثقافية العامة بالعراق، ص5.

(3) انظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1974م، ص156.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص190.

(5) المصدر السابق، ج6، ص57.

وعليه تكون علاقته سببية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:40].

يقول البروسوي: "إطلاق السيئة على الثانية مع أنها جزاء مشروع مأذون فيه".[1]

ذكر السيئة وهي السبب وأراد الجزاء وهو المسبب على سبيل المجاز المرسل.

- وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:224].

يقول البروسوي: "فيكون لفظ الإيمان مجازاً مرسلاً عن الخيرات المحلوف عليها، سمي المحلوف عليه يميناً لتعلق اليمين به".[2]

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30].

يقول البروسوي: "(ويمكرون ويمكر الله) أي يرد مكرهم عليهم والمكر وأمثاله لا يسند إليه تعالى إلا على طريق المقابلة والمشاكلة، ولا يحسن ابتداء لتضمنه معنى الحيلة والخدعة وهي لا تليق بعظمة الله تعالى".[3]

يفهم من تفسير البروسوي أنه اعتبر الآية على طريق المقابلة والمشاكلة، وهذا يخالف ما ذهب إليه بعض البلغاء باعتبارها مجازاً مرسلاً علاقته سببية.

فيقول ابن القيم الجوزية: "(ومكروا ومكر الله) تجوز بلفظ المكر عن عقوبته؛ لأنه سبب لها... ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقياً؛ لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية، وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجه إياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع (وأعد لهم من نعمة)".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص368.
(2) المصدر السابق، ج1، ص353.
(3) المصدر السابق، ج3، ص358.
(4) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص17.

ويتفق هذا القول مع قول الخطيب القزويني[1] بأن الآية الكريمة من صور المجاز المرسل علاقته سببية؛ لأنه عبر بلفظ المكر وأراد معنى التدبير فأطلق السبب وهو ذكر المكر وأراد المسبب وهو التدبير.

وأرجح قول البروسوي بأنه صورة من صور المشاكلة، ذكر اللفظ بذكر غيره حيث عبر عن التدبير بلفظ غيره وهو المكر لما بينهما من مصاحبة ومشاكلة، لكون الخداع لا يليق بالله تعالى جل وعلا.

- وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِّ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِّ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

يقول البروسوي " قال الحدادي :" (أفأمنوا مكر الله) إنما سمي العذاب مكرا على جهة الاتساع والمجاز، لأن المكر ينزل بالممكور من جهة الماكر من حيث لا يشعر، وأما المكر الذي هو الاحتيال للإظهار بخلاف الإضمار فذلك لا يجوز على الله".[2]

- ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة:11].

يقول البروسوي: "(أن يبسطوا إليكم أيديهم) بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك، يقال بسط إليه يده إذا بطشت به وبسط إليه لسانه إذا شتمه".[3]

فاليد سبب الإيذاء على سبيل المجاز المرسل علاقته سببية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۖ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:23].

يقول البروسوي: "(إنما بغيكم على أنفسكم) الذي تتعاطونه أي وباله راجع عليكم وجزاؤه لا حق بكم لا على الذين تبغون عليهم ".[4]

وعليه تكون الصورة من صور المجاز المرسل علاقته سببية؛ لأن البغي لا يقع على الأنفس وإنما هو الوبال.

---

(1) انظر: الإيضاح، ص280.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج3. ص219.
(3) المصدر السابق، ج2، ص366.
(4) المصدر السابق، ج4، ص35.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طـه: 39].

يقول البروسوي :"(ولتصنع على عيني) جعل العين مجازاً عن الرعاية والحراسة بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب فإن الناظر إلى الشيء يحرسه مما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه".(1)

2- علاقة المسببية

وهو أن يطلق المسبب ويريد السبب.

- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ [المائدة:60].

يقول البروسوي: "(يا ايها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) المراد بالقيام إما القيام الذي هو من أركان الصلاة، فالتقدير إذا أردتم القيام لها بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب؛ لأن الجزاء لا بد وأن يتأخر عن الشرط يعنى صحة قيام الصلاة بالطهارة".(2)

فالقيام مسبب عن الإرادة على سبيل المجاز المرسل علاقته مسببية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:10].

يقول البروسوي : (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) أي ما يجر إلى النار، ويؤدي إليه فكأنه نار في الحقيقة".(3)

عبر عن المسبب (النار) بمال اليتيم، لكونها مسببة عنه، " وفي ذلك تنفير من أكل مال اليتيم، إذ تصور الآية أن الوصي في عمله هذا لا يأكل المال وإنما يأكل النار".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص388. وللمزيد من صور المجاز المرسل علاقته السببية انظر: ج11,1- 329 -288 -202، ج2، 36 - 101 -104- 445 - 247 - 205 -240، ج4، 120 - 80 - 86. ج5، 80-89.

(2) المصدر السابق، ج2، ص357.

(3) المصدر السابق، ج2، ص177

(4) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص148.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ [الإسراء:28].

يقول البروسوي: (ابتغاء رحمة من ربك) أي لفقد رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء".[1]

وهذا القول يتفق مع الزمخشري في تفسيره: "فوضع الابتغاء موضع الفقد؛ لأن فاقد الرزق يبتغي له، فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبباً عنه، فوضع المسبب موضع السبب".[2]

- ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 13].

يقول البروسوي: "(وينزل لكم من السماء رزقاً) أي: سبب الرزق وهو المطر مراعاة لمصالح أبدانكم".[3]

فالمطر هو المسبب للرزق، يعبر عبد الفتاح لاشين عن هذه الآية الكريمة تعبيراً جميلاً بقوله: "وفي التعبير بذلك ما يخيل للسامع انعدام الزمن بين نزول المطر والثمار التي تخرج من النبات، فالذي ينزل ليس مطراً وإنما هو الرزق يصير بين أيديهم، وفي ذلك ما يستدعي من العبد الخضوع والإنابة إلى هذا المنعم بهذا السخاء." [4]

وقد وضح البروسوي هذا النوع من المجاز المرسل وعلاقته المسببية في العديد من الآيات القرآنية وما ذكرته على سبيل التمثيل لا الحصر.

3- علاقة اعتبار ما يؤول إليه واعتبار ما يكون:-

وهو تسمية الشيء بما سيكون.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن و ج5، ص151.

(2) الكشاف، ج3، ص513.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص181. وللمزيد من الاطلاع على هذه الصور انظر: ج1، 315-218-454-455، ج2، 170- 10- 417، ج3، 280-198-311، ج4، 54-398، ج5، 38-33-222 -80-101.

(4) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص 148.

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء:141]

"(فتح من الله) إنما سمي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً تعظيما لشأن المسلمين وتخسيساً لحظ الكافرين؛ لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه".(1)

يتضح من تفسير البروسوي أن الآية مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه الظفر.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:240].

يقول البروسوي: "(والذين يتوفون منكم) أي يموتون يسمى المشارف إلى الوفاة متوفياً تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه وقرينة المجاز امتناع الوصية بعد الوفاة".(2)

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 243]

"(حذر الموت) خرجوا من ديارهم خوفاً من الموت، والمراد بالموت هو مرض الطاعون".(3)

يتضح من تفسير البروسوي لهذه الآية أنها مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه هذا المرض لأن المراد بالموت مرض الطاعون.

- ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام:95].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص311.
(2) المصدر السابق، ج1، ص379.
(3) المصدر السابق ،ج1، ص382.

يقول البروسوي: "الحي والميت مجاز عن النامي والجامد تشبيهاً للنامي بالحي، والحي حقيقة فيما يكون موصوفاً بالحياة المستتبعة للحس والحركة الإرادية، والميت حقيقة فيما يكون خالياً عن صفة الحياة ممن تكون الحياة من شأنه".(1)

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36].

"(أعصر خمرا) أي عنباً سماه بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر".(2)

فهذه الآية مجاز مرسل علاقته ما يؤول إليه العنب خمراً؛ لأن العنب هو الذي يعصر ويصبح خمراً.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: 282].

يقول البروسوي: "أي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن".(3) وذلك على اعتبار ما يكونان عليه بعد الشهادة.

وقد وضح الشوكاني تفسير المجاز في هذه الآية يقول: "والاستشهاد طلب الشهادة، وسماها شهيدين قبل الشهادة من مجاز الأول، أي باعتبار ما يؤول إليه أمرهما من الشهادة".(4)

- ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101].

يقول البروسوي: "المراد ولد كامل الصلاح عظيم الشأن... ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وإنه يبلغ أو أن الحلم فإن الصبي لا يوصف بالحلم".(5)

فأطلق لفظ الغلام الحليم على ما سيصبح إليه مستقبلاً على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته باعتبار ما يؤول إليه.

- ومنه قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص75.
(2) المصدر السابق، ج4، ص273.
(3) المصدر السابق، ج1، ص446.
(4) فتح القدير، ج1، ص409.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص471.

يقول البروسوي: "(للمتقين) أي للضالين المشارفين التقوى الصائرين إليها".(1)

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

يقول البروسوي: "تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة إذا كان كفار قريش يتربصون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موته... أي ستموت وسيموتون، والشيء إذا قرب من الشيء يسمى باسمه، فلابد لكل من الموت قريباً أو بعيداً وكل آت فهو قريب".(2)

يتضح أن الآية من قبيل المجاز المرسل علاقته باعتبار ما يكون، لكون الخطاب لسيدنا محمد ﷺ ولم يمت فعلاً أي بدليل مقام الخطاب، ولا بد أنك ستموت وأنهم سيموتون. (3)

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّك إِنْ تَذَرهُمْ يُضِلُّوا عِبَادك وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:27].

يقول البروسوي: "(لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) قال الراغب الأصفهاني : الكفار أبلغ من الكفور، وهو المبالغ في كفران النعمة والمعنى، إلا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الأرض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون إليه بعد البلوغ فهو من مجاز الأول".(4)

يفهم من قوله "فوصفهم بما يصيرون إليه" أن الآية على سبيل المجاز المرسل علاقته باعتبار ما يكونون عليه بعد البلوغ.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه:77].

"(يبسا) صفة لطريق واليبس المكان الذي كان فيه ماء فذهب".(5)

فكلمة يبساً بأن المكان فيه ماء فذهب الماء فأصبح يبساً على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما يؤول.

4- علاقته اعتبار ما كان :-

وفيه يسمى الشيء باعتبار ما كان عليه.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص33.
(2) المصدر السابق، ج8، ص 116.
(3) انظر البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص151.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص186-187.
(5) المصدر السابق، ج5، ص414.

- قوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ [النساء:2].

يقول: (وآتوا اليتامى أموالهم) وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً؛ للإيذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم، لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى أنه أيها الأولياء والأوصياء احفظوا أموال اليتامى، ولا تتعرضوا لها بسوء، وسلموها إليهم وقت استحقاقهم تسليمها إليهم".(1)

فكلمة اليتامى مجاز مرسل؛ لأن البالغ الرشيد لا يسمى يتيماً، وتسليم الأموال لا يتم إلا بعد البلوغ فهي باعتبار الذين كانوا يتامى.

ونأتي بتفسير محي الدين درويش على سبيل الاستئناس برأيه:" فكلمة اليتامى هنا مجاز مرسل؛ لأنها استعملت في الراشدين والعلاقة اعتبار ما كانوا عليه".(2)

- ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [طـه:74]

يقول البروسوي: "(مجرماً) حال كونه متوغلاً في إجرامه منهمكاً فيه بأن يموت على الكفر والمعاصي".(3)

فسماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا لكونه منهمكاً في الإجرام، فالآية على سبيل المجاز المرسل علاقته باعتبار ما كان.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:232].

يقول البروسوي: "(أن ينكحن أزواجهن) إن أريد بهم المطلقون، فالزوجية إما باعتبار ما كان أو باعتبار ما يكون، وإلا فبالاعتبار الأخير على معنى أن ينكحن أنفسهن ممن شئن أن يكونوا أزواجاً لهن".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص166.

(2) إعراب القرآن، محي الدين درويش، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط9، 2005.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص412.

(4) المصدر السابق، ج1، ص366.

وهذا التفسير يوافق كلاً من الشوكاني وأبي السعود بأن الآية الكريمة مجاز مرسل، باعتبار ما يكون، أو باعتبار ما سيكون إن أريد به من يردن أن يتزوجنه".[1]

5- علاقته الكلية :-

وهي إطلاق اسم الكل على الجزء وقد كشف البروسوي في مواطن معينة هذه العلاقة فمنها :-

- قوله تعالى: ﴿كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:19].

يقول البروسوي: "فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم، والمراد أناملهم وفيه من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل، كأنهم يدخلون من شدة الحيرة أصابعهم كلها في آذانهم لا أناملها بحسب كما هو المعتاد".[2]

فأطلق الكل وهو الأصبع، وأراد الجزء وهي الأنامل، وعلاقة المجاز هنا كلية، والمجاز فيه هنا مبالغة لشدة حيرتهم ودهشتهم جعلوا أصابعهم كلها في آذانهم.[3]

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4].

يقول البروسوي: "(تعجبك أجسامهم) ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم".[4]

فعبر بالكل وهو الأجسام وأراد الجزء وهو الوجه على سبيل المجاز المرسل علاقته الكلية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: 65].

(1) انظر: فتح القدير، ج1، ص334، تفسير أبو السعود، ج1، ص275.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص73.
(3) انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص149.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص526.

يقول البروسوي: "(ولما فتحوا أمتاعهم) المراد هنا أوعية الطعام مجازاً إطلاقاً للكل على بعض مسمياته. ويسمى بعضهم هذا النوع من المجاز أعني إطلاق الكل على البعض حقيقة قاصر".[1]

6- علاقته الجزئية:

وهو إطلاق اسم الجزء على الكل.

- ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:20].

يقول البروسوي:" (أسلمت وجهي) أي أخلصت نفسي وقلبي وجملتي".[2]

يتضح من تفسير البروسوي أن الآية مجاز مرسل علاقته جزئية أي تعبيراً عن الكل بالوجه.

- ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9].

يقول: "(يخل لكم وجه أبيكم) فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم وتتوفر محبته فيكم، فذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات".[3]

تعبيراً عن الذات بالوجه فيكون من المجاز المرسل وعلاقته جزئية.

- وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195].

يقول البروسوي:" (بأيديكم) لا يقال ألقي بيده إلا في الشر، والمراد بالأيدي الأنفس فإن اليد لازم للنفس، وتخصيص اليد من بين سائر الجوارح اللازمة؛ لأن أكثر الأعمال يظهر بها بالمباشرة باليد والمعنى لا تطرحوا أنفسكم".[4]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص15.
(2) المصدر السابق، ج4، ص231. وانظر مثيله ،ج2، ص 222، ج1، ص208 – 908 – 212.
(3) المصدر السابق، ج1، ص312.
(4) المصدر السابق، ج1، ص312.

هنا مجاز مرسل علاقته جزئية من إطلاق الجزء (الأيدي) وإرادة الكل (الأنفس).

- وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:52].

"(يريدون وجهه) بذكرهم وعبادتهم يريدون الله تعالى ورضاه، لا شيئاً من أغراض الدنيا".[1]

وهنا مجاز مرسل علاقته جزئية من إطلاق البعض وإرادة الكل.

- وقوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف:32].

"(من أعناب) من كروم متنوعة فإطلاق الأعناب عليها مجازاً".[2]

أطلق الأعناب وهي جزء، وأراد الكل وهي الكروم، وعليه يكون مجازاً مرسلاً وعلاقته جزئية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ [الإسراء:107].

يقول البروسوي:"(يخرون للأذقان) يسقطون على وجوههم، فاللام بمعنى على، والأذقان الوجوه على سبيل التعبير عن الكل بالجزء مجازاً، قال البيضاوي: ذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد".[3]

- ومنه قوله تعالى :﴿قُلِ ادعُوا اللَّهَ أَوِ ادعُوا الرَّحمٰنَ أَيًّا ما تَدعوا فَلَهُ الأَسماءُ الحُسنىٰ وَلا تَجهَر بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِت بِها وَابتَغِ بَينَ ذٰلِكَ سَبيلًا﴾ [الإسراء: 110].

" (ولا تجهر بصلاتك) والصلاة أفعال وأذكار أو هو من تسمية الجزء بالكل مجازاً".[4]

- وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 22].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص38.
(2) المصدر السابق، ج5، ص247.
(3) المصدر السابق، ج5، ص 107.
(4) المصدر السابق، ج5، ص213.

" (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى أنها تضربهم بلهبها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً، وهو من البعض، وإرادة الكل إذ الخريف آخر الفصول الأربعة".[1]

- ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29].

" (عند كل مسجد) يحتمل أن يكون اسم زمان أو يكون اسم مكان أي في كل وقت سجود، أو مكان سجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وإرادة الكل ".[2]

- ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

يقول: "(واضربوا منهم كل بنان) والمقصود اضربوهم في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها".[3]

فقد أطلق لفظ البنان وهو جزء وأراد جميع الأعضاء، وهي الكل فهو مجاز مرسل علاقته جزئية.

- وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم:16].

" فيكون الخرطوم مجازاً عن الوجه على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل".[4]

- وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: 2-3].

" وإنما قلنا إن الذل يظهر في الوجه؛ لأنه ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ، والمراد بأصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعد من الأوصاف (عاملة ناصبة)، إذ المراد أصحابها... تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها، لأنها تكبرت عن العمل لله في الدنيا، فأعملها الله في أعمال شاقة، وهي جر السلاسل والأغلال الثقيلة".[5]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص22.
(2) المصدر السابق، ج3، ص 161.
(3) المصدر السابق، ج3، ص340.
(4) المصدر السابق، ج10، ص114.
(5) المصدر السابق، ج10، 419.

فعبر بالوجوه وأراد أصحابها من التعبير بالجزء وإرادة الكل، وعليه تكون العلاقة جزئية.

7- علاقته الحالية :-

وهي إطلاق اسم الحال على المحل.

- كما في قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [آل عمران: 107].

يقول البروسوي (رحمه الله): "أي الجنة والنعيم المقيم المخلد، عبر عنها بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى، فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى".(1)

يفهم من كلام البروسوي إطلاق اسم الحال، وهو الرحمة والنعيم وأراد به المحل وهو الجنة.

وقال عنها الزمخشري: "ففي نعمته وهي الثواب المخلّد، فإن قلت: كيف موقع قوله: (هم فيها خالدون)، بعد قوله :(ففي رحمة الله)؟ قلت موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون".(2)

- وقوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾** [النساء:174].

" (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) ثواب قدره بإزاء إيمانه، وعمله، ورحمة منه لاقتضاء بحق واجب إحسان زائد عليه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".(3)

- ومنه قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف:31].

يقول البروسوي:"(زينتكم) الزينة وإن كانت اسماً لما يتزين به من الثياب الفاخرة، إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد بالزينة هنا الثياب التي تستر العورة".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص80.
(2) الكشاف، ج1، ص351.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص339.
(4) المصدر السابق، ج3، ص163.

فأطلق اسم الحال وهي الزينة وأراد المحل وهي الثياب والزينة لا تؤخذ.

8- علاقته المحلية:-

وهي تسمية الشيء باسم محله أي :- ذكر المحل ويراد ما يحل به.

- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:12].

يقول:"أي قصة أهل قرية كانت في قرى الأولين".(1)

مجاز مرسل علاقته محلية حيث ذكر المحل وأراد ما يحل به أهل القرية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:60].

يقول:"(شر مكان) جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم".(2)

وهنا مجاز مرسل علاقته محلية فقد ذكر المكان وأراد أهله.

- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [الأنعام:6].

يقول :" (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) أي المطر أو السحاب مغزاراً أي كثير الدرور والصب وهو حال من السماء".(3)

ذكر المحل وأراد حال السماء من المطر أو السحاب على سبيل المجاز المرسل علاقته محلية.

- ومثاله قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف:82].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص90.
(2) المصدر السابق، ج2، ص417.
(3) المصدر السابق، ج3، ص11.

" (واسأل القرية) أي وقولوا لأبيكم أرسل إلى أهل مصر واسألهم".[1]

- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف:70].

يقول: "(أيتها العير) وهي الإبل التي عليها الأحمال؛ لأنها تذهب وتجيء والمراد أصحاب الإبل".[2]

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [إبراهيم:35].

"(رب اجعل هذا البلد آمناً) فإسناد الأمن إلى البلد مجاز لوقوع الأمن فيه، وإنما الآمن في الحقيقة أهل البلد ".[3]

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ [آل عمران190].

يقول البروسوي: "خلقين عظيمين ويقال فيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار والوحوش والطيور".[4]

الآية مجاز مرسل علاقته محلية؛ لأنه أراد حال السموات والأرض وأطلق المحل.

- وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:63].

يقول: "(يا أبانا منع منا الكيل) مصدر كلت الطعام إذا أعطيته كيلاً، ويجوز أن يراد به المكيال أيضاً على طريقة ذكر المحل وإرادة الحال".[5]

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص321.
(2) المصدر السابق، ج4، ص315.
(3) المصدر السابق، ج4، ص448.
(4) المصدر السابق، ج2، ص149.
(5) المصدر السابق، ج4، ص304.

- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق:17].

يقول البروسوي: "(ناديه) أي أهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم أي يجتمعون".[1]

فعبر بالمحل وهو النادي مكان اجتماع القوم، وأراد ما يحل فيه أي أهل ناديه على سبيل المجاز المرسل علاقته محلية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1].

يقول البروسوي: "واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما أن أثرها يظهر في الأكثر من اليد، يقال فلان بيده الأمر والنهي، والحل والعقد؛ أي له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ".[2]

فالقدرة تحل في اليد، واليد لهذه القدرة، وعليه تكون العلاقة محلية.

- ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:167].

يقول: "يظهرون خلاف ما يضمرون، لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالإيمان، وإضافة القول إلى الأفواه تأكيد وتصوير، فإن الكلام وإن كان يطلق على اللسان والنفساني، إلا أن القول لا يطلق إلا ما يكون باللسان والفم، فذكر الأفواه بعده تأكيد".[3]

فعبر بالمكان (الأفواه) وأراد ما يحل فيه (يقولون بألسنتهم) وعليه تكون العلاقة محلية.

- وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:6].

يقول: "(وعلى أبصارهم) جمع بصر، وهو إدراك العين،وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة، وعلى العضوين، وهو المراد هنا لأنه أشد مناسبة للتغطية".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص488.
(2) المصدر السابق، ج10، ص73. ومثاله سورة التوبة آية (29).
(3) المصدر السابق، ج2، ص127.
(4) المصدر السابق، ج1، ص50.

أطلق حال العضوين وهو إدراك العين، وأراد المحل العضوين على سبيل المجاز المرسل وعلاقته محلية.

9- علاقته الآلية :-

وهو أن يذكر الشيء باسم آلته التي يؤدي بها الفعل.

- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:46].

يقول البروسوي: "(بما قدمت أيديكم) أي بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي، فاليد عبارة عن النفس الدراكة، عبر عنها باسم أغلب آلاتها في اكتساب الأفعال".(1)

فذكر اليد وهو الآلة، وأراد النفس الدراكة على سبيل المجاز المرسل علاقته الآلية.

- وقوله تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِيْنٌ﴾ [يونس:2].

يقول: "(قدم صدق عند ربهم) أي أعمالاً صالحة سابقة قدموها ذخراً لآخرتهم، ومنزلة رفيعة يقدمون عليها سميت قدماً على طريقة تسمية الشيء بآلته؛ لأن السبق والقدم يكون بالقدم كما سميت النعمة يداً".(2)

يفهم من كلام البروسوي (تسمية الشيء بآلته) أن الآية من صور المجاز المرسل، علاقته الآلية، ولكن يتضح من خلال تفسير الآية أنها من قبيل المجاز المرسل علاقته السببية (يكون بالقدم كما سميت النعمة يداً) أن اليد سبب النعمة كما أن الأعمال الصالحة سبب لنيلهم المنزلة الرفيعة التي يقدمون عليها.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:50].

يقول البروسوي: "ثناءً حسناً رفيعاً فإن لسان الصدق هو الثناء الحسن على أن يكون المراد باللسان ما يوحد به من الكلام".(3)

ذكر اللسان وأراد الثناء الحسن؛ لأن اللسان هو الذي يقوم بذلك على سبيل المجاز المرسل علاقته الآلية.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص378.
(2) المصدر السابق، ج4، ص7.
(3) المصدر السابق، ج5، ص340، انظر سورة الشعراء آية (83-84).

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:4].

يقول البروسوي: "(بلسان قومه) لفظ اللسان يستعمل فيها هو بمعنى العضو وبمعنى اللغة، والمراد هنا هو الثاني أي بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم".(1)

فذكر اللسان وهو الآلة، وأراد اللغة التي تؤدى به.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:38].

يقول:" (يطير بجناحيه) كما هو المشاهد المعتاد فقيد الطيران بالجناح تأكيد كما يقال نظرت بعيني وأخذت بيدي، أو هو مجاز عن السرعة لأنه يقال طار فلان في الأرض أي أسرع".(2)

فعبر بالجناح وأراد السرعة؛ لأن الجناح آلة الطيران على سبيل المجاز المرسل علاقته الآلية.

10- علاقته الملزومية :-

"هي كون الشيء يجب عند وجوده شيء آخر".(3)

- قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف:89].

يقول البروسوي:" هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه، فهو سؤال عن الملزوم، والمراد لازمه وفعلهم بأخيهم بنيامين إفراده عن يوسف، وأذاه بأنواع الأذى، وإذلاله حتى كان لا يقدر أن يكلمهم إلا بعجز وذلة".(4)

وعليه تكون علاقته ملزومية.

- وقوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:12].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص418.
(2) المصدر السابق، ج3، ص29.
(3) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص234.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص330.

يقول: "داري تنظر دارك أي تقابلها، فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى، والانتقال من الملزوم إلى اللازم مجاز".[1]

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة:30].

يقول البروسوي:" قاتلهم الله ادعاء عليهم جميعاً بالإهلاك، فإن من قاتله الله هلك، فهو من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم؛ لتعذر إرادة الحقيقة".[2]

- وقوله تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ. رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 61].

يقول: "(من رب العالمين) فمن لابتداء الغاية مجازاً، والرسالة يلزمها الهدى التام الغير قابل للضلال فاستدرك الملزوم ليكون كالبرهان على استدراك اللازم".[3]

11- علاقة العموم:-

"أن يدل اللفظ المذكور على العموم والمراد الخصوص".[4]

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:72].

يقول البروسوي :" (إذ قتلتم نفساً) وخوطب الجماعة لوجود القتل فيهم".[5]

فعبر بالعام الجماعة وأراد الخاص الكشف عن القاتل، وعليه تكون علاقته العموم؛ لأن القتل لم يصدر عن الجميع، وإنما صدر عن واحد منهم.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 49].

يقول: "(يذبحون أبناءكم) والمراد من الأبناء هم الذكور خاصة، وإن كان الاسم يقع على الذكور والإناث في غير هذا الموضع... أريد به الصغار دون الكبار؛ لأنهم كانوا يذبحون الصغار".[6]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص209.
(2) المصدر السابق، ج4، ص436.
(3) المصدر السابق و ج4، ص194.
(4) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص185.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص163.
(6) المصدر السابق، ج1، ص131.

ذبحوا بعض الأبناء فقط أي الصغار دون الكبار فعبر عن الخاص بالعام.

- وقوله تعالى:- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا. يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ. مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77].

يقول البروسوي: "(فعقروا الناقة) أسند العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للملابسة أو لأن ذلك كان برضاهم فكأنه فعله كلهم".(1)

12- علاقة الخصوص :-

أن يدل اللفظ المذكور على الخاص والمراد العموم. (2)

- قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:14].

يقول: "أي علمت كل نفس من النفوس ما أحضرته على حذف الراجع إلى الموصول، فنفس في معنى العموم كما صرح به في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران:30]. ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:30]". (3)

عبر بالخاص (نفس) وأراد العموم أي (كل نفس).

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:29].

يقول البروسوي: "(وادعوه) أي واعبدوه فهو من إطلاق الخاص على العام، فإن الدعاء من أبواب العبادة وهو الخضوع للباري، مع إظهار الافتقار والاستكانة، وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها".(4)

فعبر عن العبادة وهو عام بالدعاء وهو خاص على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الخصوص.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص203.
(2) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص187.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج10.
(4) المصدر السابق، ج3، ص161.

المبحث الثالث

الاستعارة

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في اللغة:

"مأخوذة من العارية أي: نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه... واستعارة الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه".[1]

ويعرفها ابن فارس: "وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر فيقولون: "انشقت عصاهم" إذا تفرقوا".[2]

الاستعارة في الاصطلاح:-

قد ذكر علماء البيان تعريفات عدة للاستعارة تحمل معنىً واحداً وإن اختلف اللفظ.

ويعد الجاحظ أول من عرفها كفن بلاغي يقول: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".[3]

يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن المجاز أعم من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة... والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع يجري على أن الاستعارة نقل الاسم من أصله إلى غيره للتشبيه على حد المبالغة".[4]

يتضح أن العلماء الأوائل لم يضعوا الاستعارة تحت علم البيان بل من أقسام علم البديع.

وقد حدد عبد القاهر الجرجاني تعريف الاستعارة: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه".[5]

وجعل السكاكي الاستعارة أحد موضوعات علم البيان وعرفها فقال: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به".[6]

---

(1) اللسان: (عور).
(2) الصاحبي، ابن فارس، ص154-155.
(3) البيان والتبيين، ج1، ص101.
(4) أسرار البلاغة، ص346.
(5) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص60.
(6) مفتاح العلوم، ص156.

وقال الخطيب القزويني: "الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية، لتحقق معناها حساً وعقلاً، أي: التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه يشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال إن اللفظ نقل من سماه الأصلي، فجعل اسماً على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه".(1)

ونجد أن البروسوي متأثر بتعريف الخطيب القزويني، إذ يحدد معالم الاستعارة ويوضحها من خلال تفسيره بعض الآيات القرآنية، فقال في تفسيره الآية: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:2]

"(بالروح) أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة، فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، يعني أن الروح استعارة تحقيقية عن الوحي ووجه التسمية أحد هذين الوجهين والقرينة إبدال أن أنذروا من الروح".(2)

يلاحظ أن الاستعارة قيدت بالتحقيقية، لتحقق معنى الوحي حساً كمقام الروح في الجسد وعقلاً يحيي القلوب الميتة.

ويذكر ابن الأثير حداً للاستعارة لتميزها عن التشبيه يقول: "حدُّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طيِّ ذكر المنقول إليه، لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة".(3)

وبعد استقراء آراء العلماء نورد التعريف الذي استقر عليه علماء البلاغة للاستعارة أنها: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي".(4)

يحدد فضل عباس قيمة الاستعارة قائلاً: "ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الاستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيراً، وأدقها تأثيراً وأجملها تصويراً، وأكملها تأدية للمعنى، ولا غرو فهي منبثقة عن التشبيه... فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، فبيئة الاستعارة الأولى التي ولدت فيها ومقوماتها الأساسية هي النفس".(5)

---

(1) الإيضاح، ص285.
(2) روح البيان، ج5، ص5.
(3) المثل السائر، ابن الأثير، ص365.
(4) جواهر البلاغة، ص239/الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، ص43. من بلاغة القرآن، علوان، ص214.
(5) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط7، 2000م، ص158.

فالاستعارة من أجمل الصور البيانية، وأعمق تأثيراً في ذهن السامع؛ لكون المستعار منه حسي، والمستعار له عقلي، وهذا ما أشار إليه البروسوي من خلال تفسيره للبعض الآيات القرآنية منها: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:18].

"ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل، فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي، أي: ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عبر عن الصورة المقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع".(1)

وبذلك يتضح أن البروسوي كانت له جهود واضحة في إبراز الاستعارة بصورة بيانية مؤثرة في النفوس، وذكر بعض أنواعها أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، منها: المكنية والتبعية والمجردة والمرشحة، وغالباً كان يقول إن في الآية استعارة دون ذكر لنوعها، وسنوضح ذلك في أثناء عرضنا لأنواع الاستعارة.

أنواع الاستعارة:

1- الاستعارة المكنية أو (الاستعارة بالكناية) :-

"وهي إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه المسمى "تخييلاً" فاستعارة مكنية أو بالكناية".(2)

كما هو واضح في قول القزويني: "وقد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر نختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى استعارة بالكناية أو مكنياً عنها".(3)

- كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُون

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص467.
(2) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص241.
(3) الإيضاح، ص309.

عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24].

"(إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت). بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة، كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها، فالأرض استعارة بالكناية حيث شبهت بالعروس، وأثبت لها ما يلائم العروس، وهو أخذ الزينة وهو قرينة الاستعارة بالكناية وقوله وازينت ترشيح".(1)

نجد البروسوي هنا ذكر نوع الاستعارة، وبين نوعها باعتبار ما يلائم المستعار منه (المشبه به) لوجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهي أخذ الزينة للأرض، ولذلك ذكر بأنها استعارة مكنية مرشحة.

- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ [مريم:4].

(واشتعل الرأس شيباً) يقول البروسوي: "شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار، وانتشاره في الشعر ومنبته مبالغة وإشعاراً لشمول الشيب جملة الرأس، حتى لم يبق من السواد شيء وجعل الشيب تمييزاً إيضاحاً للمقصود والأصل اشتعل شيب رأسي".(2)

يوضح البروسوي الاستعارة من خلال شرحها؛ حيث أشار إلى وجود المشبه (الشيب) وحذف المشبه به (النار)، وأبقى صفة من صفاته وهي الاشتعال كما وبين دلالة الاستعارة (إنارته بشواظ النار وانتشاره بالشعر ومنبته مبالغة وإشعاراً لشمول الشيب جملة الرأس حتى لم يبق من السواد شيء) استعير للشيب اشتعل لأنها تفيد مع لمعان الشيب في الرأس الإحاطة والشمول حتى لم يبق من السواد شيء (3).

ويحدد الشوكاني نوع الاستعارة في هذه الآية وقيمتها بين الاستعارات " والاشتعال في الأصل انتشار شعاع النار، فشبه به انتشار بياض شعر الرأس في سواده بجامع البياض

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص37-38.
(2) المصدر السابق، ج5، ص316.
(3) انظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، ص47.

والإنارة، ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بأن حذف المشبه بــه وأداة التــشبيه، وهــذه الاستعارة من أبدع الاستعارات وأحسنها". (1)

- وقوله تعــالى ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: 24].

يقول البروسوي: "جناح الذل استعارة بالكناية، جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر فأثبت لــه الجناح تخييلاً أي: تواضع لهما ولين جانبك، وذلك أن الطائر إذا قصد أن يــنحط خفــض جناحه وكسره وإذا قصد أن يطير رفعه فجعل خفض الجناح عنــد الانحطــاط مــثلاً فــي التواضع ولين الجانب. قال القاضي وأمره بخفضه مبالغة فــي إيجــاب الــذل وترشــيحاً للاستعارة". (2)

نجد البروسوي هنا ذكر نوع الاستعارة، شبه الذل والتواضع بالطائر، وحذف المــشبه بــه وأبقى لازما من لوازمه وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية، ثم قرن الكلام بما يلائــم المستعار منه (المشبه به) حينما استدل بقول القاضي "وأمره بخفضه مبالغة في إيجاب الذل، وترشيحاً للاستعارة" وعليه تكون مرشحة.

ويتجلى في هذه الآية جمال النسق القرآني الذي يوحي بالإيجاز حيث جاءت كلمة الجنــاح تمثل حياة كاملة في طاعة وبر الوالدين.

- ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:27].

يقول البروسوي: "فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيــث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين". (3)

ويقول الزمخشري في تخريج هذه الاستعارة: "فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض فــي إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبــات الوصلة بين المتعاهدين... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها، أن يسكنوا عن ذكــر الــشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة إلى مكانه". (4)

(1) فتح القدير، الشوكاني، ج3، ص147.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص147.
(3) المصدر السابق، ج1، ص90.
(4) الكشاف، ج1، ص113.

يلاحظ ما بين البروسوي والزمخشري من توافق في توضيح الاستعارة إلا أن البروسوي بين نوع الاستعارة أنها مكنية كما وأشار إلى قيمتها البلاغية.

- ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:5].

يقول البروسوي: "أي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب مما وراءه، وتحقيقه أن الزمان محيط بما فيه من الزمانيات، مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان، وكذا كل جزء من أجزائه الممتدة من الأيام والشهور والسنين، فإذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه".[1]

فقد شبه انقضاء الشهور وخروج كل جزء من أجزائه الممتدة بالانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الانسلاخ على سبيل الاستعارة المكنية.

- وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44].

يقول البروسوي: "(ابلعي) أي انشفي فإن البلع حقيقة إدخال الطعام في الحلق بعمل الجاذبة، فهو استعارة لغور الماء في الأرض، ووجه الشبه الذهاب إلى مقر خفي".[2]

يفهم من تفسير البروسوي أنه يقصد الاستعارة المكنية، فقد شبه شرب الماء للأرض بالحيوان، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وفعله، وهو البلع على سبيل الاستعارة المكنية.

ويبرز في هذه الآية الكريمة الإعجاز البياني الذي يتضمن أكثر من خمسة وعشرين لونا بلاغيا في باب الإيجاز، ولذلك تعد أبلغ آية في كتاب الله.

وإذا تأملت في عدد كلمات وجدت العدد (سبعة عشر) يتناسب مع عدد ركعات الصلوات الخمس.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص407. وانظر نفس المرجع، ج7، ص394، آية 37.
(2) المصدر السابق، ج4، ص144.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154].

يذكر البروسوي نوع الاستعارة في هذه الآية مع الشرح والتفصيل يقول: "لما سكت عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم والسكوت قطع الكلام فرع ثبوته/ وهو لا يتصور في الغضب، فلا يتصور قطعه أيضاً فهو محمول على المعنى المجازي، الذي هو السكون شبه الغضب بإنسان يغري موسى عليه السلام، ويقول له إن أخاك قصر في كف قومك عن الكفر، فاستحق إهانتك وعقوبتك، فخذ بشعر رأسه فجره إلى نفسك، وقل له كذا وكذا، وألق ما في يدك من الألواح، ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام، ففيه استعارة مكنية وسكت قرينة الاستعارة".[1]

والاستعارة بسكت الغضب أبلغ؛ لأنه انتفى الغضب بالسكوت عما يكره وبما يوجب السكوت الحكمة في الحال. [2]

وهذا من بديع الاستعارة، فالذي يتأمل ويتدبر اللفظ المستعار (السكت الذي يوجب الحكمة) يتحقق لديه مدى انسجام اللفظ مع المعنى المراد، ومع الشخصية النبوية البشرية التي تثور مع الغضب، ولكن سرعان ما يزول ويهدأ ويفيء إلى رشده وحكمته النبوية، وتكشف الآية عن الإعجاز البياني باستخدام لفظ (سكت) الذي يوحي بالحكمة والرشاد.

- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:30].

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: "واختلف الناس في أن الخطاب والجواب هل هما على الحقيقة أو لا، فقال بعضهم هما على الحقيقة فينطقها الله بذلك، كما ينطق الجوارح، وهو المختار فإن الله على كل شيء قدير وأمور الآخرة كلها أو جلها على خلاف ما تعورف في الدنيا، وقد دلت الأحاديث على تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول إلى المجاز".[3]

يفهم من كلام البروسوي أن الآية على سبيل الحقيقة، وليست فيها وجه من وجوه المجاز، وهذا يخالف بعض المفسرين الذين خرجوا الآية على سبيل المجاز منهم النيسابوري، يقول في تفسيره: "إن جهنم تغيظ الكافرين، ثم يبقى فيها موضع العصاة المسلمين فتطلب الامتلاء

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص264.
(2) انظر: النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ص12.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص125-126.

من الكفار؛ كي لا ينقص إيمان العاصي حرها، فإذا أدخل العصاة النار سكن غيظها، وسكن غضبها".[1]

" فالحوار يدور بين الله ﷻ وبين جهنم، فينشئ لنا هذا الحوار صورة، فتتمثل الموقف تمثلاً واضحاً، فالله يعد جهنم بالامتلاء من الكافرين والعصاة، وجهنم لا تنفد وقودها، ولا يضيق مكانها فتطلب المزيد حتى تمتلئ، ولا تجد مكاناً للمزيد بعد امتلائها، حياة وحركة أضفاهما الحوار، وتجاذب الحديث مع من لا ينطق ولا يتكلم فأعطانا هذا الحوار صورة رائعة، تمثل هو الجحيم وعنفها وشدة سعيرها".[2]

ولذلك أرى نفسي تميل إلى منهاج التمثيل والتخييل لتهويل الجحيم وعنفها يوم القيامة، فالمعنى يتصور أمامنا مشهداً حياً فيه حركة ليتعمق تأثيره في القلب.

- وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود:39].

يقول البروسوي: "(وتحل عليه) حلول الدين الذي لا انفكاك عنه، ففي الكلام استعارة مكنية؛ حيث شبه العذاب الأخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدَّين المؤجل الواجب الحلول، وأثبت له الحلول الذي هو من لوازمه".[3]

- وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19].

يقول: "(وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) فتشبيه الشكر بالجماعة النافرة استعارة مكنية وإثبات الوزع والربط تخييل وقرينة لذلك التشبيه".[4]

- وقوله تعالى : ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:18].

يقول البروسوي: "فأطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفساً بذلك، ثم كنى بتنفسه بذلك عن إقبال الصبح وطلوعه وإضاءة غبرته؛ لأن المتنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة".[5]

---

(1) تفسير النيسابوري، الطبعة الأميرية، ج26، ص119.
(2) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص242.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص135.
(4) المصدر السابق، ج6، ص358.
(5) المصدر السابق، ج10، ص355.

شبه الصبح بالإنسان في طلوعه وإقباله وخروج النور، ثم حذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته، وهي التنفس على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا ما يؤيده ابن عاشور في تفسيره يقول: "أو لأنه إذا بدا الصبح أقبل معه نسيم، وجعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس مع تشبيه النسيم بالأنفاس".(1)

وفي هذا المقام لابد أن نذكر أن الذي ينقب في تفسير البروسوي، يجد الإعجاز العلمي يتدفق في ثنايا تفسيره، فهنا يلفت النظر إلى الحقيقة العلمية الكونية، وهي عملية التركيب الضوئي، التي تبدأ منذ طلوع الشمس تقوم النباتات بأخذ ثاني أكسيد الكربون من الهواء، وتطرح غاز الأكسجين فيهب كريح خفيفة يتنفسها الإنسان، وهذا ما يدل عليه قول البروسوي: "النفس في الأصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرّج عنه بهبوبه عليه... شبه إقبال الصبح من النسيم بالريح المخصوص المسمى بالنفس".(2)

وقد تحدث زغلول النجار في بيان الإعجاز العلمي لهذه الآية يقول: "إذا تنفس هي دلالة واضحة على عملية التمثيل الضوئي، حيث شبه الله سبحانه وتعالى بدء طلوع الشمس في الأفق بإنسان أخذ نفساً، وهو إشارة واضحة إلى تلازم إنتاج الأكسجين مع طلوع الشمس، وأن عملية التنفس الحيوي أو التركيب الضوئي مع طلوع الشمس".(3)

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 102].

يقول: "(وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إن قلت الحذر من قبيل المعاني، فكيف يتعلق الأخذ الذي لا يتعلق إلا بما هو من قبيل الأعيان كالسلاح. قلت: أنه من قبيل الاستعارة بالكناية، فإنه شبه الحذر بآلة يستعملها الغازي، وجعل تعلق الأخذ به دليلاً على هذا التشبيه المضمر في النفس، فيكون استعارة تخييلية ولا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز من حيث إن إسناد الأخذ إلى الأسلحة حقيقة، وإلى الحذر مجاز، وذلك لأن الأخذ على حقيقته، وإنما المجاز

(1) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ج30، ص154.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج10. ص355.
(3) موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، مقالة زغلول النجار، www.alda3wa.org

إيقاعه فافهم ولعل زيادة الأمر بالحذر في هذه المرة، كونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي عليه السلام في شغل شاغل".[1]

- وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:61].

" أي جعلناهم محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه، وألصقنا بهم وجعلنا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم، كما يضرب الطين على الحائط، فهو استعارة بالكناية فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء".[2]

والمتمعن النظر في تفسير البروسوي يجد أنه امتلأ بالصور المجازية على سبيل الاستعارة، وهذه الأمثلة التي وردت على سبيل التمثيل لا الحصر. [3]

2- الاستعارة التصريحية :-

يعرفها السكاكي: "أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه، هو المشبه به".[4]

أي ما حذف فيها المشبه المستعار له، وصرح بالمشبه به المستعار منه.

- كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:106]

يقول البروسوي: "(لهم فيها زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس بقوة وشدة، والشهيق رده، واستعمالها في أول ما ينهق الحمار، وآخر ما يفرغ من نهيقه، وفيه استعارة تصريحية فإن المراد تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، فكما أن الحمير لها أصوات منكرة كذلك لهم

---

(1) روح البيان ، ج2، ص279-280.
(2) المصدر السابق، ج1، ص152.
(3) انظر : المصدر السابق ج1، ص66، آية 15- ص178، آية 86- ص327، آية 207، ج2، ص462، آية 106 – ص180، آية 12 – ص403، آية 44 – ص343، آية 1 – ص436، آية 83 – ص146، آية 187 – ص89، آية 120، ج4، ص110، آية 9 – ص479، آية 22 – ص455، آية 141 – ص355، آية 2 – ص101، آية 5 – ص72، آية 71 – ص275، آية 35 – ص411، آية 42، ج5، ص316، آية 4 – ص381، آية 22 – ص411، آية 71 – ص360، أية 86 – ص302، آية 99 – ص465، آية 15 – ص 465، آية 14، ج6، ص54، آية 55 – ص291، آية 46 – ص760، آية11.
(4) مفتاح العلوم، ص158.

أصوات منكرة في جهنم، كما يشاهد ذلك في أهل الابتلاء في الدنيا لا سيما عند الصلب، أو الخنق أو ضرب العنق أو قطع اليد أو نحوها".(1)

فقد شبه صراخ أهل النار بأصوات الحمير، فصرح بذكر المشبه به وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

يقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: "والمراد بهما وصف شدة كربهم، وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة، وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير".(2)

يفهم مما سبق أن هذه الصورة البيانية تحمل في طياتها دلالات بيانية، تستقر في النفس المؤمنة، فتنفرها من النار التي تذيق أهلها الإهانة والتحقير، من خلال وصف صراخهم بصوت مقزز وهو صوت الحمير، لتهويل العذاب يوم القيامة.

- وقوله تعالى: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ [يونس:14].

يقول البروسوي: "(لننظر): النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي؛ طلباً لرؤيتة وهو في حقه تعالى مستعار للعلم للمحقق الذي لا يتطرق إليه شك، ولا شبهة بأن يشبه هذا العلم بنظر الناظر، وإدراكه عين المرئي على سبيل الاستعارة التصريحية، ثم تسري الاستعارة إلى الفعل تبعاً".(3)

يفهم من تفسير البروسوي أنه شبه العلم المحقق بنظر الناظر، وإدراكه عين المرئي، فصرح بذكر المشبه به (لننظر) وحذف المشبه (العلم المحقق)، على سبيل الاستعارة التصريحية، واللفظ المستعار فعل، وعليه تكون استعارة تبعية أثناء قوله "ثم تسري الاستعارة إلى الفعل تبعاً".

- وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهمْ قَوْم نُوح وَعَاد وَفِرْعَوْن ذُو الْأَوْتَاد﴾ [ص:12].

يقول البروسوي: "وأصله أن يستعمل في ثبات الخيمة، بأن يشد أطنابها على أوتاد مركوزة في الأرض، فإن أطنابها إذا اشتدت عليها كانت ثابتة، فلا تلقيها الريح على الأرض، ولا تؤثر فيها، ثم استعير لثبات الملك، ورسوخ السلطنة، واستقامة الأمر، بأن شبه ملك فرعون بالبيت المطنب استعارة بالكناية، وأثبت له لوازم المشبه به، وهو الثبات بالأوتاد تخييلاً،

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص201.
(2) تفسير أبي السعود، ج3، ص93.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص24.

وجه تخصيص هذه الاستعارة أن أكثر بيوت العرب كانت خياماً، وثباتها بالأوتاد ويجوز أن يكون المعنى ذا الجموع الكثيرة سمعوا بذلك؛ لأنهم يشدون البلاد، والملك يشد بعضهم بعضاً كالوتد يشد البناء والخباء، فتكون الأوتاد استعارة تصريحية".(1)

يلاحظ من تفسير البروسوي لهذه الآية أنه يُخرِّج الصورة البيانية استعارتين على حسب المعنى، استعارة مكنية، بأن شبه ملك فرعون بالبيت المطنب، واستعارة تصريحية فقد حذف المشبه وهو الملك وأبقى صفة من صفاته وهو الأوتاد.

ومن ألطف ما نوجهه في هذه الآية أن نخرجها على سبيل الاستعارة التصريحية؛ لأن اللفظ المستعار الأوتاد للملك أدق في المعنى وأكثر تحقيقاً لثبات الملك بأن يشد بعضهم بعضاً كالوتد يشد البناء.

وهذا ما ذهب إليه الشوكاني في تخريج هذه الآية على سبيل الاستعارة التصريحية يقول: "قيل المراد بالأوتاد: الجموع والجنود الكثيرة، يعنى أنهم كانوا يقومون أمره، ويشدون سلطانه، كما تقوى الأوتاد ما ضربت عليه، فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا".(2)

- وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20].

يقول البروسوي:"الحرث في الأصل: إلقاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه، ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور من حيث إنها فائدة تحصل بعمل الدنيا".(3)

فاستعير لثمرات الأعمال ونتائجها لفظ الحرث، صرح بلفظ المشبه به (الحرث) وحذف المشبه، وهذا من قبيل الاستعارة التصريحية.

وقد حدد الدكتور الدرويش نوع الاستعارة في الآية فقال:"استعارة تصريحية شبه ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والنماء بالحرث، والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص10-11.
(2) فتح القدير، ج4، ص305.
(3) روح البيان، ج8، ص337.

ويطلق على الزرع الحاصل منه، ثم حذف المشبه وهو العمل وابقى المشبه به وهو الحرث للدلالة على نتائج الأعمال وثمراتها ".[1]

وقد خالف الزمخشري البروسوي في تحديد الصورة البيانية في هذه الآية، يقول الزمخشري: "سمي ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة الزكاء حرثاً على المجاز".[2]

فقد جعل الزمخشري الصورة البيانية مجازاً، ولكن أرجح ما ذهب إليه البروسوي؛ لأن المجاز في الآية فيه علاقة مشابهة بين ثمرات الأعمال والحرث، من حيث الفائدة التي تتحقق بعمل الدنيا، "وقيل الدنيا مزرعة الآخرة"[3] فالذي يبذر بذور الإيمان في الدنيا يجني الثمار الطيبة في الآخرة.

- وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:17].

يقول البروسوي: "استعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض؛ لأنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات".[4]

يفهم من كلام البروسوي أن الآية من قبيل الاستعارة التصريحية، فقد شبه إنشاء الإنسان وخلقه بالإنبات، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو (الإنبات).

- وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:8] (8).

"شبه اشتعال النار بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه، فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية".[5]

- وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256].

---

(1) إعراب القرآن، الدرويش، ج8، ص338.
(2) الكشاف، ج4، ص30.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص181.
(4) المصدر السابق، ج 10، ص83.
(5) المصدر السابق، ج1، ص412.

يقول البروسوي: "فإن العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول؛ لأن من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه، ولما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها وصفها الله بأنها العروة الوثقى".[1]

لقد جعل أبو السعود الصورة البيانية في الآية تشبيهاً تمثيلاً، على خلاف ما ذهب إليه البروسوي أن الصورة من قبيل الاستعارة التصريحية، فشبه الإيمان بالعروة الوثقى، فصرح بالمشبه به وحذف المشبه، وبناء على ذلك ما ذهب إليه البروسوي أرجح؛ لأن المشبه محذوف وأداة التشبيه محذوفة وصرح بالمشبه به (العروة الوثقى).

واقترن التشبيه بالمشابهة بين طرفيه وعليه تكون الصورة أقرب إلى الاستعارة.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "كلما كان مكان الشبه بين الشيئين أخفى وأغمض وأبعد من العرف، كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين وأحسن وأكثر في الاستعمال ".[2]

- وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245].

يقول البروسوي :" (يقرض) أصل القطع سمي به؛ لأن المعطي يقرضه أي يقطعه من ماله فيدفعه إليه مثله من الثواب، وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه".[3]

يفهم من تفسير البروسوي أنه شبه العمل بالمال الذي يقترض، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:14].

يستدل البروسوي من كتاب الأساس للزمخشري يقول: "قال في الأساس: ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الخيل، ومن المجاز ربط الله على قلبه أي صبره، ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت، وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص412.
(2) أسرار البلاغة، ص289.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص384.
(4) المصدر السابق، ج5، ص224.

استعارة تصريحية تبعية لأن اللفظ المستعار الربط وهو الشد بالحبل.

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:13]

يقول: " قرار أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة".(1)

شبه الرحم بالقرار على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:5].

يقول :" استعارة عن ملة الإسلام والدين الحق ".(2)

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33].

يقول: "أي السؤال عجيب وكلام غريب، كأنه مثل في البطلان، يريدون به القدح في حقك وحق القرآن".(3)

شبه السؤال بالمثل على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:67].

يقول :"(حتى يثخن في الأرض) فدل الكلام على أن له أن يقدم على الأسر والشد بعد حصول الإثخان، وهو مشتق من الثخانة، وهي الغلظة والكثافة في الأجسام، ثم استعير في كثرة القتل والمبالغة فيه؛ لأن الإمام إذا بالغ في القتل يكون العدو كشيء ثقيل يثبت في مكانه ولايقدر على الحركة".(4)

استعار لكثرة القتل لفظ الإثخان على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:138].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص77.
(2) المصدر السابق، ج1، ص23.
(3) المصدر السابق، ج6، ص224.
(4) المصدر السابق، ج3، ص392.

يقول البروسوي: "الصبغة في الآية مستعارة لفطرة الله التي فطر الناس عليها، شبهت الخلقة السليمة التي يستعد بها العبد للإيمان وسائر أنواع الطاعات بصبغ الثوب، من حيث إن كل واحدة منهما حلية لما قامت هي به وزينة له".[1]

حذف المشبه (الخلقة السليمة) وصرح بالمشبه به (صبغ الثوب) على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143].

يقول: "(على عقبيه) العقب مؤخر القدم والانقلاب على العقبين مستعار للارتداد والرجوع عن الدين الحق إلى الباطل".[2]

شبه الارتداد والرجوع عن الدين الحق إلى الباطل بالانقلاب على العقبين على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93].

يقول :" (وأشربوا في قلوبهم العجل) والمعنى جعلوا شاربين حب العجل، نافذاً فيهم نفوذ الماء فيما يتغلغل فيه. قال الراغب من عاداتهم إذا أرادوا محاصرة حب أو بغض في القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب إذ هو أبلغ مساغاً في البدن".[3]

شبه حب العجل بالشراب على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص245.
(2) المصدر السابق، ج1، ص251.
(3) المصدر السابق، ج1، ص184-185.

يقول البروسوي: "يقال فاصدع فافرق بين الحق والباطل، كشف الحق وأبنه عن غيره من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة".(1)

شبه التبليغ عن الحق بالزجاجة، ثم حذف المشبه ، وأبقى المشبه به وهو الصدع، على سبيل الاستعارة التصريحية

والاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأن الصدع هو مبالغة وقوة التأثير والتبليغ.

3- الاستعارة التمثيلية :-

"وهي المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية وهو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل في الصورة المشبهة بها مبالغة التشبيه ".(2)

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:15]

" (إنا معكم مستمعون) وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء والله تعالى منزه عن ذلك، فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء، والمعنى سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم؛ ليمد الأولياء منهم ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة، وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور".(3)

يلاحظ من كلام البروسوي أنه يسمي الاستعارة التمثيلية المجاز المركب لقوله "وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور".

- وقوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف:120].

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص519.
(2) انظر في الإيضاح للقزويني، ص304-305، وانظر جواهر البلاغة، السيد الهاشمي، ص258.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص 283.

يقول: "ففي الكلام استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالهم في سرعة الخرور وشدته حين شاهدوا المعجزة القاهرة بحال من ألقي على وجهه، معبراً عن حالهم بما يدل على حال المشبه به". (1)

- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [لأنعام:18].

"صور قهره تعالى وعلو شأنه بالعلو الحسي فعبر عنه بالفوقية بطريق الاستعارة التمثيلية". (2)

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186].

يقول: "(فإني قريب) أي فقل لهم إني قريب بالعلم والإحاطة، فهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم، فيكون لفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية". (3)

يفهم من تفسير هذه الآية أن البروسوي حدد نوع الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار بأنها تبعية وتمثيلية لتمثيل حال وهيئة منتزعة من متعدد، فشبه كمال علم الله بأفعال عباده وإحاطته بهم بحال من قرَّب مكانه منهم.

- وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [البقرة:7].

يقول: "لا ختم على الحقيقة، وإنما المراد به أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات، بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد، وإعراضهم عن النظر الصحيح، فنجعل قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها الإنذار، ولا ينفذ فيها الحق أصلاً وسمي هذه الهيئة على الاستعارة ختماً". (4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص227.
(2) المصدر السابق، ج3، ص18.
(3) المصدر السابق، ج1، ص299.
(4) المصدر السابق، ج1، ص50.

- وقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِّ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:56].

(آخذ بناصيتها) "أي أنه مطيع له؛ لأن كل من أخذت بناصيته فقد قهرته، وأخذ الله بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم".(1)

- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَّ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:11].

يقول:"(على حرف) أي على طرف من الدين، لا في وسطه وقلبه، فلا ثبات له فيه كالذي ينحرف على طرف الجيش، فإن أحس بظفر قر وإلا فرَّ، فالحرف الطرف، والناحية وصف الدين بما هو من صفات الأجسام على سبيل الاستعارة التمثيلية".(2)

- وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُّ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللهِّ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:18].

يقول: "(سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لقوله هو شر لهم، أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، إذ لا طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية، شبه لزوم وبال البخل وإثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها في عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه، فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق".(3)

ومما سبق ندرك أن البروسوي عبر عن الاستعارة التمثيلية بأنها اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي.

4- الاستعارة التخييلية :-

يعرفها العلوي: "أما الاستعارة الخيالية الوهمية، هي أن تستعير لفظاً دالاً على حقيقة خيالية، تقدرها في الوهم، ثم تردفها بذكر المستعار له، إيضاحاً وتعريفاً لها".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص159.
(2) المصدر السابق، ج6، ص12.
(3) المصدر السابق، ج2، ص137، وانظر ج2، ص395 آية 36، ج3، ص57، آية 96، ص340، آية 24، ج5، ص151، آية 29، ج6، ص20، آية 19، ج8، ص150، آية67، ص387، آية5.
(4) الطراز، ج1 ، ص184.

- وقد وضح البروسوي هذه الاستعارة في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:21].

يقول: "شبهت مقدوراته تعالى في كونها مستورة عن علوم العالمين، ومصونة من وصول أيديهم، مع كمال افتقارهم إليها، ورغبتهم فيها، وكونها مهيأة متأتية لإيجاده وتكوينه، بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت بلا تأخير بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية، فذكر الخزائن على طريق الاستعارة التخيلية".(1)

فجعل البروسوي هذه الآية من قبيل الاستعارة التخييلية، حيث استعار لفظ الخزائن على حقيقة خيالية تقدر في الخيال لكونها مستورة عن علوم العالمين، ومصونة من وصول أيديهم إليها.

- وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحجر: 21].

يقول البروسوي: "(متصدعاً من خشية الله) الصدع شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما، ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع، قال العلماء: هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ، أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم خشوعه عند تلاوته، وقلة تدبره فيه، والمعنى لو ركب في الجبل عقل وشعور، كما ركب فيكم أيها الناس ثم أنزل عليه القرآن ووعد حسب حالكم خشع وخضع وتصدع من خشية الله، حذراً من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن، والامتثال لما فيه من أمره ونهيه، والكافر المنكر أقسى منه؛ لذا لا يتأثر أصلاً".(2)

ويعلق الشوكاني على هذه الآية: "وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب".(3)

فقد شبه الجبل في خشوعه وتصدعه بالإنسان العاقل الخاشع على سبيل الاستعارة التخييلية، لأن حقيقة الجبل ليس له عقل ولا شعور ليخشع ويخاف من الله سبحانه وتعالى.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص478.
(2) المصدر السابق، ج9، ص448.
(3) فتح القدير، ج5، ص247.

ومن أروع ما يصور القرآن لمَّا استعار الصدع الذي يوحي بكمال الخشوع، أخذ الوهم في تصوير ما للمستعار منه من خضوع وانكسار عند تلاوة القرآن، فهو جبل ضخم عظيم يتصدع كالزجاج، فكيف بإنسان يحمل قلباً وعقلاً ولا يتأثر عند تلاوة القرآن، فأراد الله بهذا التصوير البياني التخييلي توبيخ الإنسان على قسوة قلبه.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10].

يقول البروسوي: "وقال بعضهم: فيه استعارة تخييلية لتنزهه تعالى عن الجارحة وعن سائر صفات الأجسام، فلفظ الله في يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من الذين يبايعون بالأيدي، ولفظ اليد استعارة تخييلية أريد به الصورة المنتزعة، الشبيهة باليد مع أن ذكر اليد في حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الأيدي في حق الناس مشاكلة ازداد بها حسن التخييلية".(1)

ويفهم مما سبق أن الاستعارة التخييلية قرينة للاستعارة المكنية، وهذا ما أشار إليه القزويني: "وقد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً، أو عقلاً، أجرى عليه اسم ذلك الأمر، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية".(2)

ويقصد بالأمر هنا قرينة الاستعارة المكنية، فهي تخييلية، وهذا ما يتفق مع ما أشار إليه البروسوي.

أقسام الاستعارة:-

أولاً :- تنقسم الاستعارة إلى أصلية وتبعية، باعتبار اللفظ المستعار إذا كان اسماً جامداً كانت أصلية، وإن كان مشتقاً أو فعلاً أو حرفاً كانت تبعية. (3)

1- الاستعارة التبعية:-

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:6].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص20.
(2) الإيضاح، ص309.
(3) انظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص246.

" ففي كلمة على هنا استعارة تبعية شبه إيصال الله رزق كل حيوان إليه تفضلاً وإحساناً على ما وعده بإيصال من يوصله، وجوباً في انتفاء التخلف فاستعملت كلمة على".[1]

استعيرت (على) وهي حرف على طريق الاستعارة التبعية.

- وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم:30].

يقول البروسوي: "(ليضلوا عن سبيله) ليس الإضلال غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد، ولكن لما كانت نتيجة له كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء شبه بالغرض وأدخل اللام عليه بطريق الاستعارة التبعية، ونسب الإضلال الذي هو فعل الله إليهم لأنهم سبب الضلالة حيث يأمرون بها ويدعون إليها".[2]

يتضح أن البروسوي ذكر أن الاستعارة في الآية جاءت بطريق الاستعارة التبعية، لأنها وقعت في الحرف (اللام) في (ليضلوا) وهذا ما أشار إليه أبو السعود في تفسيره. [3]

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:91].

يقول: "(من روحنا) من الروح الذي هو من أمرنا، ففيه تشبيه لا يراد الروح في البدن بنفخة النافخ في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية".[4]

فقد وقعت الاستعارة في الفعل (نفخنا) باعتبار اللفظ المستعار على سبيل الاستعارة التبعية.

- ومثاله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:3].

يذكر البروسوي في تفسير البيضاوي لهذه الآية مبيناً أنها على سبيل الاستعارة التبعية يقول: "قال البيضاوي: يلبسه مكانه فيصير الجو مظلماً بعد ما كان مضيئاً، يعنى أن الإغشاء إلباس الشيء، ولما كان إلباس الليل النهار، وتغطية النهار به غير معقول؛ لأنهما متضادان لا

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص103، انظر نفس المرجع، ج1، ص293، آية 284.
(2) المصدر السابق، ج4، ص442.
(3) تفسير أبي السعود، ج3، ص489.
(4) المصدر السابق، ج5، ص527.

يجتمعان، واللباس لابد أن يجتمع مع اللابس قدر المضاف، وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبه أحداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطية بها، فأطلق عليه اسم الإغشاء والإلباس فاشتق منه لفظ يغشي فصار استعارة تبعية".(1)

يتبين مما سبق تأييد البروسوي لتفسير البيضاوي بأنها استعارة تبعية؛ لأنها وقعت في الفعل (يغشي) باعتبار اللفظ المستعار وهذا يوافق تفسير أبي السعود إذ يقول: "استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية، أي يستر النهار والليل".(2)

- وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:55].

يقول: "(ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ففي اللام استعارة تبعية".(3)

- وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59].

" شبه إحداث الله تعالى في نفوس الكفار هيئة تمرنهم وتعودهم على استحباب الكفر، والمعاصي، واستقباح الإيمان والطاعات، بسبب إعراضهم عن النظر الصحيح بالختم والطبع على الأواني ونحوها في أنهما مانعان، فإن هذه الهيئة مانعة عن نفوذ الحق في قلوبهم، كما أن الختم على الأواني ونحوها مانع عن التصرف فيها، ثم استعير الطبع تلك الهيئة ثم اشتق منه يطبع فيكون استعارة تبعية".(4)

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:32].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن ، ج4، ص358.
(2) المصدر السابق، ج3، ص438.
(3) المصدر السابق، ج5، ص44.
(4) المصدر السابق، ص62.

يقول البروسوي: " وقد عبر عن الميراث بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه، تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به، بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني".[1]

- وقد تأتي الاستعارة التبعية في الصفة المشبهة قوله تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:41].

يقول البروسوي: "الريح العقيم، وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم، وقطعت ديارهم، فالعقيم بمعنى المعقم، أو العاقم وفيه استعارة تبعية، شبه إهلاكهم وقطع ديارهم بإعقام النساء التي لا يلدن ولا يعقبن، ثم أطلق المشبه به على المشبه، واشتق منه العقيم، أو وصفت به لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر، أو إلقاح شجرة يعني شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة".[2]

وفي تفسير الآية يدل على إجراء الاستعارة في الصفة المشبهة (العقيم)؛ حيث شبه الريح المهلكة التي لا تأتي بمطر، ولا خير، بعقم المرأة التي انقطع نسلها فلا تنجب على سبيل الاستعارة التبعية باعتبار لفظ المستعار اسماً مشتقاً.

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:3].

يقول البروسوي: "(لعلكم تعقلون) كلمة لعل مستعارة لمعنى كي، وهو التعليل وسببية ما قبلها لما بعدها؛ لكون حقيقة الترجي والتوقع ممتنعة في حقه تعالى؛ لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الأمور".[3]

أجريت الاستعارة في هذه الآية على الحرف، لعل الذي يفيد الترجي حقيقة، وجاء هنا بمعنى التعليل على سبيل الاستعارة التبعية.

2- الاستعارة الأصلية :-

- قد ذكر البروسوي الاستعارة الأصلية في بعض الآيات منها: ﴿إن تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:17].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص203.
(2) المصدر السابق، ج9، ص165 -166.
(3) المصدر السابق، ج8، ص 386.

"(قرضاً حسناً) تصريحية أصلية أي مقروناً بالإخلاص وطيب النفس".[1]

اللفظ المستعار (قرضاً) جاء اسماً جامداً على سبيل الاستعارة الأصلية.

- وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود:80]

يقول البروسوي: "أي لو قويت على دفعكم ومقاومتكم بنفسي، أو التجأت إلى ناصر عزيز قوي أستند إليه، وأمتنع به فيحميني منكم، شبه بركن الجبل في الشدة والمنعة".[2]

ويحدد عبد الفتاح لاشين نوع الاستعارة في هذه الآية يقول: "فشبه المعين الشديد بالركن في القوة، ثم استعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية".[3]

- وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إِنَّا أرسلناك شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب:45-46].

يقول البروسوي: "أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغاوية، ويهتدي بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية، كما يهتدي بالسراج المنير في الظلام إلى سمت المرام".[4]

يفهم من قوله أن لفظ السراج مستعار، وحقيقته مبيناً، وعليه تكون الاستعارة أصلية "والاستعارة أبلغ للإحالة على ما يظهر بالحاسة ".[5]

ثانيا :- تنقسم الاستعارة باعتبار لازمها إلى ثلاثة أقسام: مطلقة، مرشحة، مجردة. [6]

وقد أشار البروسوي أثناء تفسيره للآيات القرآنية إلى هذه الأقسام منها :-

1- الاستعارة المجردة :-

وهي التي اقترن بها ما يلائم المستعار له (المشبه). [7]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص22.
(2) المصدر السابق، ج4، ص179.
(3) البيان في ضوء أساليب القرآن، ص168.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، 197.
(5) النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ص16.
(6) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص253.
(7) القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص248.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ والخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:112].

يقول البروسوي: "أصل الذوق بالفم ثم يستعار، فيوضع موضع الابتلاء والاختبار... وقال في الإرشاد شبه أثر الجوع والخوف وضرهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس، فاستعير له اسمه، وأوقع عليه الإذاقة المستعارة لمطلق الإيصال، المنبئة عن شدة الإصابة، بما فيها من اجتماع إدراك الملامة والذائقة على نهج التجريد، فإنها لشيوع استعمالهما في ذلك، وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة".(1)

يتضح من كلام البروسوي أنه قام بتخريج الاستعارة على نهج التجريد؛ لأن الذوق أبلغ في الإحساس، وأشد في الإيلام.

ويقول العلوي في بيان الصورة البيانية في هذه الآية بأنها: "اشتملت عليه هذه الآية من المجازات البليغة والاستعارات الرشيقة فقد تضمنت أربع استعارات، الأولى منها القرية للأهل، والثانية استعارة الذوق في اللباس، والثالثة استعارة اللباس في الجوع، والرابعة استعارة اللباس في الخوف، فهذه الاستعارات كلها متلائمة وفيها من التناسب ما لا خفاء به ".(2)

2- الاستعارة المرشحة :-

"هي ما قرنت بما يلائم المستعار منه".(3)

- قوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَـانُواْ مُهْتَـدِينَ﴾ [البقرة:15].

يقول البروسوي: "(فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز أي: ما ربحوا فيها فإن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة، فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع؛ لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران".(4)

واستشهد القزويني بالآية على الاستعارة المرشحة فقال: "فإنه استعار الاشتراء للاختيار، وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء، منظر إلى المستعار منه".(5)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5 و ص90.
(2) الطراز، العلوي، ج1، ص169-170.
(3) الإيضاح، للقزويني، ص301.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص66-67.
(5) الإيضاح، ص302.

ويقول ابن عطية: "فالشراء هنا استعارة وتشبيه لما تركوا الهدى، وهو معرض لهم، ووقعوا بدله في الضلالة، شبهوا بمن اشترى فكأنهم دفعوا في الضلالة هداهم".(1)

يفهم مما أوردناه من آراء العلماء في توضيح هذه الآية أنها من قبيل الاستعارة المرشحة، فقد استعار الشراء للاختيار، ثم ذكر الربح والتجارة وهما يلائمان المشبه به (المستعار منه).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا﴾ [الأحزاب، 33].

يقول البروسوي: "استعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها".(2)

فقد وضح البروسوي نوع الاستعارة، وبين أن المشبه به هي المعصية، قد اقترن بها ما يلائم وهو التطهير فجاءت استعارة مرشحة.

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186].

يقول البروسوي: "تقرير القرب المجازي المراد في هذا المقام، وهو الحالة الشبيهة بالقرب المكاني، وقد تقرر أن إثبات ما يلائم المستعار منه للمستعار له يرشح الاستعارة ويقررها، وأيضاً وعد للداعي بالإجابة".(3)

يبين البروسوي أن الاستعارة قرنت بما يلائم المستعار منه على سبيل الاستعارة المرشحة.

- وقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:18].

يقول البروسوي: "قال أهل التفسير إنما استعار لذلك أي للتغليب والتسليط وإيراد الحق على الباطل، وهو كسر الشيء الرخو الأجوف، وهو الدماغ، بحيث يشق غشاءه المؤدي إلى زهوق الروح؛ تصويراً لإبطاله فشبه الحق بجرم صلب كالماس أو الياقوت مثلاً قذف به على جرم آخر رخو أجوف من قزاز أو تراب فمحقه وأعدمه...(زاهق) أي ذاهب بالكلية،

(1) المحرر الوجيز، لابن عطية، المجلس الأعلى للشئون، ص98.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص172-173.
(3) المصدر السابق، ج1، ص299.

والزهوق ذهاب الروح، فكأنه زاهق من الأصل، وذكره لترشيح المجاز، فإن ذهاب الروح إنما يلائم المستعار منه أي المعنى الأصلي للدمغ فإن الدماغ جميع الحواس".[1]

الاستعارة في هذه الآية من قبيل الاستعارة المرشحة، وهي من أقوى الاستعارات يقول ابن أبي الأصبع: "وأجل الاستعارات الاستعارة المرشحة".[2]

3- والاستعارة المطلقة:-

إذا خلت مما يلائم المشبه والمشبه به، أو ذكر معها ما يلائم الطرفين معاً[3]

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:11].

يقول: "بيان لما يرثونه وتقييد للموارثة بعد إطلاقها، وتفسير لها بعد إبهامها تفخيماً لشأنها، ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم، حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه".[4]

استعار لفظ يرثون للفردوس، ولم يقترن بالمستعار ما يلائم المشبه أو المشبه به، وعليه تكون استعارة مطلقة.

- وقوله تعالى: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج:12].

يقول البروسوي: "(هو الضلال البعيد). عن الحق والهدى مستعاراً من ضلال من أبعد في التيه ضالاً عن الطريق، فطالت وبعدت مسافة ضلالة، فإن القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية".[5]

استعار لفظ البعيد للضلال، ولم يذكر ما يلائم المشبه أو المشبه به على سبيل الاستعارة المطلقة، التي تصور الضلال تصويراً فنياً حسياً، بوصفه بصفة تنسجم مع معناه المعبر عن بعد الإنسان المضل عن الحق والهدى.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص437.
(2) المحرر الوجيز، لابن عطية، ص99.
(3) من بلاغة القرآن، علوان، ص225.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص76.
(5) المصدر السابق، ج6، ص13.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:161].

يقول البروسوي (أن يغل) "والمعنى ما كان لنبي أن يعطي قوماً من العسكر، ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بين الكل بالسوية، وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وتقبيحاً لصورة الأمر".[1]

يفهم من تفسيره (عبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول، استعار الغل لحرمان بعض الغزاة وعبر به تغليظاً وتقبيحاً لصورة الحدث.

فهكذا نرى القرآن في معظم آياته يعبر عن الصورة الذهنية والعقلية، بما يدل على الهيئة المحسوسة الملموسة؛ لتستقر الصورة في ذهن القارئ، وتختلج في فؤاده، فيتيقظ إلى تحقيق المعنى المراد.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص122.

المبحث الرابع

الكناية

تعريف الكناية:

الكناية في اللغة: "أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره، يكنى كناية، وتكنّى: تستر: من كنى عنه إذا ورّى، أو من الكنية"(1)

ويعرفها ابن فارس: "أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور".(2)

- وهذا يوافق ما ذكره البروسوي في تفسيره للآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:187].

يقول: "(الرفث) جعل كناية عن الجماع؛ لأن الجماع لا يخلو عن شيء من التصريح بما يجب أن يكنى عنه من الألفاظ الفاحشة".(3)

- وقوله تعالى في تفسيره للآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:6].

يقول: "ملامسة النساء مماسة بشرة الرجل بشرة المرأة، وهي كناية عن الجماع، ومثل هذه الكناية من الآداب القرآنية إذا التصريح مستهجن".(4)

---

(1) لسان العرب: (كنى).

(2) الصاحبي، ص200، وانظر الفوائد : لابن القيم الجوزية، ص126.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص302.

(4) المصدر السابق، ج2، ص362.

الكناية في الاصطلاح:-

يعرفها السكاكي بقوله: "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما نقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة".(1)

ويعرفها السبكي فقال: "الكناية لفظ استعمل في لازم معناه مراداً باستعماله فيه إفادة ملزومة، والكناية في الغالب أريد بها إفادة ملزوم معناها لا لازمة، وقد يكون الأمر بالعكس".(2)

- وهذا التعريف يتفق مع ما ذكره البروسوي في تفسيره لبعض الآيات منها: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النور: 27].

يقول: "(حتى تستأنسوا) هو من باب الكناية ذكر الاستئناس اللازم وأريد الإذن الملزوم".(3)

- وقوله تعالى **﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأعراف:54].

يقول البروسوي :" (ثم استوى على العرش) فجعل الاستواء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم ".(4)

وقد عرفها الجرجاني فقال: "المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد" ويريدون "طويل القامة".(5)

---

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، ص170.
(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، تحقيق عبد الرحمن هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2003م، ج2، ص206.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص158.
(4) المصدر السابق، ج4، ص185.
(5) دلائل الإعجاز، ص66.

- وقد ذكر البروسوي ما يطابق ذلك المعنى في تفسيره للآية: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:197].

يقول: "(وما تفعلوا من خير يعلمه الله) علم الله تعالى بما يفعله العبد من الخير كناية عن إثباته عليه".[1]

وأما تعريف القزويني للكناية أكثر شمولاً من التعريفات السابقة يقول: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ".[2] أي جواز إرادة معناه الأصلي.

ويلاحظ مما سبق أن البروسوي قد تعرض للكناية في تفسيره لبعض الآيات بما يطابق تعريفها الاصطلاحي.

قد وضح علماء البيان هذا النوع المقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ، فمنهم من خلط بين الكناية والتعريض، ولم يفرق بينهما، وأدخل أحدهما في الآخر، فذكر للكناية أمثلة من التعريض، وللتعريض أمثلة من الكناية، مثل ابن سنان والخفاجي والعسكري، فالعسكري يتكلم عن الكناية تحت اسم الكناية والتعريض ويقول: "وهو أن يكنى عن الشيء ويعرَّض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية".[3]

وأما ابن سنان يذكر في كتابه [4] قول امرئ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامها * ورضت فذلت صعبة أيَّ إذلال**

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة، وهو مثال للتعريض.

وحينما نقبت في ثنايا تفسير العالم البروسوي أبصرت أنه قد سار على نهج أمثاله من علماء البيان الذين خلطوا بين الكناية والتعريض؛ حيث ألبس الكناية بلباس التعريض والعكس كذلك، فيذكر الكناية والتعريض معاً في تفسيره لبعض الآيات منها :-

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص318.
(2) الإيضاح، 330.
(3) الصناعتين، ص334.
(4) انظر سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، ترجمة وتحقيق ابراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية 1905م ، ص176.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: 23]

يقول البروسوي: "النعجة هي الأنثى من الضأن، وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود، وهو: التوبيخ فإن حصول العلم بالمعرض به يحتاج إلى تأمل، فإذا تأمله واتضح قبحه كان ذلك أوقع في نفسه وأجلب لخجلته وحيائه".(1)

فيلاحظ أن البروسوي يجمع بين الكناية والتعريض في توضيح هذه الآية الكريمة، وهذا يدل على عدم التفرقة بينهما فكلاهما يؤدي إلى معنى واحد.

- وقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]

يقول البروسوي: "والمراد بيان استحقاقه لأن يدعى عليه بالهلاك، فإن حقيقة الدعاء شأن العاجز، وإنما كناه، والتكنية تكرمه لاستشهاده بكنيته فليست للتكريم والكراهة ذكر اسمه القبيح إذ فيه إضافة إلى الصنم (عبد العزى بن عبد المطلب)، أو للتعريض بكونه جهنمياً، لأن سيصلى ناراً ذات لهب، يعنى أن أبا لهب باعتبار معناه الإضافي يصلح أن يكون كناية عن حاله، وهي كونه جهنمياً لأن معناه باعتبار إضافة ملابس اللهب، كما أن معنى أبوالخير والحرب، واللهب الحقيقي لهب جهنم، وهذا المعنى يلزمه أنه جهنمي ففيه انتقال من الملزوم إلى اللازم فهي كنية تفيد الندم".(2)

فانظر إلى تفسيره المبين الذي يكشف الستار عن سبب كنية أبي لهب بهذه الكنية القبيحة، التي تتواءم مع لهيب ولظى نار جهنم، فيأتي المعنى على سبيل الكناية والتعريض، أي: أن أبا لهب باعتبار معناه الإضافي كناية عن كونه جهنمياً أو تعريضاً بكونه جهنمياً، وهنا حرف العطف (أو) يحمل معنى حرف العطف (و) الذي يفيد الجمع بين الشيئين، وبذلك يجعل الآية مثالاً للكناية والتعريض.

- وقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: 60].

يقول البروسوي: "(لايستخفنَّك الذين لا يوقنون) فظاهر النظم الكريم، وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه عليه السلام، لكنه في الحقيقة نهي له عن التأثر من استخفافهم على طريق الكناية".(3)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص19.
(2) المصدر السابق، ج10، ص 550-551.
(3) المصدر السابق، ج7، ص62.

فيتجلى في هذه الآية أن الكناية دلت على معنى نهي الرسول عليه السلام عن التأثر من استخفاف الكفار له من طريق المفهوم، وبذلك تتم الكناية على معنى التعريض.

- وقوله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 33].

يقول البروسوي :" (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إماءكم، فإنَّ كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة، باعتبار المفهوم الأصلي، وهو أن الفتى الطري من الشباب ظهر مزيد مناسبة الفتيات".(1)

ويتبين في هذه الآية أن الكناية باعتبار المفهوم الأصلي يدل على التعريض، فابن الأثير يفرق بينهما ويقول: "التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية وجهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي".(2)

وأيضاً يعبر عن رجم الشيطان بالطرد من رحمة الله تعالى على سبيل الكناية والتعريض بالوعيد، الذي يتضمن الجواب عن شبهه قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:34].

يقول: "(فإنك رجيم) كناية عن الطرد؛ لأن من يطرد يرجم بالحجارة على أثره، أي مطرود من رحمة الله، ومن كل خير وكرامة، أو من الرجم بالشهب، وهو كناية عن كونه شيطاناً، أي من الشياطين الذين يرجمون بالشهب، وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهه، فإن من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون".(2)

وهناك من العلماء من فرق بين الكناية والتعريض منهم ابن الأثير والعلوي، ويظهر ذلك من ثلاثة أوجه: (3)

أولها: أن الكناية تقع في المجاز، والتعريض فلا يعد منه، لأنه يفهم من جهة السياق، فلا علاقة له باللفظ، لا من جهة حقيقته ولا من جهة مجازه.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص162.
(2) المصدر السابق، ج4، ص490-491.
(3) انظر الطراز، العلوي، ج1، ص305 -405، وانظر المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص198.

ثانيها: الكناية تقع في المفرد والمركب، بخلاف التعريض فإنه لا يقع إلا في المركب.

وثالثها: أن التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية تعرف عن طريق اللفظ بطريق المجاز، وبينما التعريض يفهم عن طريق الإشارة، وما دل عليه اللفظ أوضح مما لا يدل عليه اللفظ.

أقسام الكناية:-

بحث البيانيون القدامى الكناية دون أن يصنفوها، إنما كان بحثهم مقصوراً على الغرض منها.[1] ولكن المتأخرين من علماء البيان قسموا الكناية إلى صفة، أو موصوف، أو نسبة، أو تكون تعريضاً، أو تلويحاً، أو إشارة أو إيماء، وقد تكون بعيدة أو قريبة. [2]

وقد عرض البروسوي الكناية دون ذكر أقسامها، ولكنه وضَّح نوع الكناية من خلال بيانه وتفسيره لبعض الآيات القرآنية، وكشف عن الهدف من وجود الكناية في معظم تفسيره للآيات الكريمة.

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

يقول البروسوي: "(فإن تولوا) إما من تمام مقول القول، فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين، أي تتولوا وتعرضوا، وإما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة تلويح إلى أنه غير محتمل عنهم".[3]

وفي هذه الآية يذكر البروسوي قسماً من أقسام الكناية وهو التلويح.

- وقوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67].

يقول: "(ويقبضون أيديهم) فإن قبض اليد كناية عن الشح".[4]

ويفهم أن البروسوي يصف المنافقين بصفة الشح، وهنا يبرز بديع النظم القرآني الذي يكنى عن الوصف القبيح (الشح) المعنوي بصورة محسوسة ملموسة، تدعو القلوب إلى فهمها وعدم الوقوع في هذا المرض الشنيع.

(1) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص270.
(2) الإيضاح، القزويني، ص331، انظر : جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص273.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص24.
(4) المصدر السابق، ج3، ص483.

- قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:13].

يقول البروسوي: "(ذات ألواح ودسر) صفة للسفينة أقيمت مقامها بأنها يكنى بها عنها كما يكنى عن الإنسان بقولهم هو مستوي القامة عريض الأظفار".(1)

ويلاحظ كيف بين البروسوي نوع االكناية بأنها كناية عن موصوف وهو السفينة حينما قال: "كما يكنى عن الإنسان بقولهم هو مستوي القامة عريض الأظفار".

فهذه الصفات مجموعة في الإنسان أي كنى عن موصوف لذلك تعد الآية من قبيل الكناية عن موصوف، ويؤكد ذلك الزمخشري في تفسيره هذه الآية الكريمة "فهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوف فتنوب منابها، وتؤدي مؤادها، بحيث لا تجد فرقاً بين ما يدل عليه الوصف وما يحمله الموصوف معنى".(2)

- ويصف البروسوي صورة الشيطان في إغواء بني آدم بصورة فائقة في معناها ومغزاها يقول تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:16].

يقول: "القعود كناية عن الاجتهاد في إغواء بني آدم، فإن من هلك بسبب الاجتهاد في تكميل أمر من الأمور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن إتمام مقصوده ويتوجه إليه بكليته".(3)

- ومثله قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48].

يقول: "(كصاحب الحوت) في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب".(4)

حينما عزم الرسول عليه السلام أن يدعو على ثقيف، فنهاه الله سبحانه وتعالى أن يفعل كما فعل صاحب الحوت من الغضب، وغلبة الطيش على قومه الذين لم يستجيبوا للإيمان بالله، فدعا ربه وهو في بطن الحوت، فصاحب الحوت يعنى "يونس عليه السلام".(5)

فيفهم من قول البروسوي عليه السلام أن ذكره لصفات النفس التي استولت على سيدنا يونس عليه السلام، كناية عن موصوف وهو يونس عليه السلام.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص270.
(2) الكشاف، ج5، ص657، وانظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ج7 و ص352.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص151.
(4) المصدر السابق، ج9، ص126.
(5) الكشاف، ج6، ص192.

- وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصفات:48].

يقول: "والمعنى صور قصرن أبصارهن على أزواجهن، لا يمدون طرفاً إلى غيرهم، ولا يبغين لهم بدلاً لحسنهم عندهن، ولعفتهن كما في بعض التفاسير، (عين) صفة بعد صفة لموصوف ترك ذكره للعلم به".(1)

يفهم من تفسير البروسوي أن الآية تقع فيها كناية عن صفة، وهي العفة في قوله قاصرات الطرف عين.

- وقوله تعالى ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر:12].

يقول البروسوي: "(ليولن الأدبار) وتولية الأدبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الأدبار".(2)

- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27].

يقول: "وعض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك، وكذا عض الأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها، كنايات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفها".(3)

- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:194]

يقول البروسوي: "(ولما سقط في أيديهم) كناية عن شدة ندمهم، فإن الذي يشتد ندمه وتحسره يعض يده مسقوطاً فيها كأن فاه وقع فيها، والمعنى ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل غاية الندم، وسقط مسنداً إلى أيديهم".(4)

ويلاحظ من تفسيره اتضحت المشابهة وظهر أمر الكناية الحق شدة الحسرة والندم كأن فاه وقع فيها من إسناد الفعل سقط إلى في أيديهم.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص459.
(2) المصدر السابق، ج9، 436.
(3) المصدر السابق، ج6، ص219، ومثله ج2، آية 119.
(4) المصدر السابق، ج3، ص259.

ومن يدقق النظر في الآيتين السابقتين يجد أن آيات القرآن تفسر بعضها البعض ؛ ليظهر القرآن في قوة إعجازه البياني، ففي الآية الأولى يعبر عن الندم بعض اليدين ، وفي الآية الثانية يوضح كيفية العض من خلال قوله تعالى (ولما سقط في أيديهم) بأن يعض يده مسقوطا فيها كأن فاه وقع فيها.

- وقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: 45].

يقول: "(إنه لا يحب الكافرين) فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع العقوبة لا محالة".(1)

- ومثله قوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:105].

يقول :" الود حب الشيء مع تمنيه ونفي الود كناية عن الكراهة".(2)

- وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: 77].

يقول: "(وضاق بهم ذرعا) وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه".(3)

- وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:100]

يقول: "(يجد في الأرض مراغماً كثيراً) الرغم الذل والهوان، وأصله لصون الأنف بالرغام، وهو التراب يقال أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام، ولما كان الأنف من جملة الأعضاء في غاية العزة والتراب في غاية الذل جعل قولهم رغم أنفه كناية عن الذلة".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج 7، ص49.
(2) المصدر السابق، ج1، ص200–201.
(3) المصدر السابق، ج4، ص178.
(4) المصدر السابق، ج2، ص275.

فهذه من الكنايات التي وضحت صفة الذلة المعنوية بوصف حسي من خلال إلصاق الأنف بالرغام فأصبح الرغم يوحي بالذل والهوان.

- ومن الكنايات اللطيفة التي تصف نعيم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:57].

يقول :"(ظلاً ظليلاً) فإذا كان الظل عبارة عن الراحة، كان الظل الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة".(1)

- وقوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:62].

يقول: "(لا يسمعون فيها لغواً) كناية عن عدم صدور اللغو عن أهله".(2)

وقد ذكر الكنايات التي تفيد ألفاظ جميلة تشرح القلب، ترغيباً في العمل للآخرة ، وكنايات تفيد ألفاظاً قبيحة لها موقع عظيم في القلب، تنفر النفس من الوقوع بهذه الصور يوم القيامة.

- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 106]

"وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكمون الخوف فيه يقال لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه أبيض وجهه أي استبشر، ولمن وصل إليه مكروه اغبر لونه وتبدلت صورته".(3)

- ويورد البروسوي بعض الكنايات البديعة التي تلتفت إلى ألفاظ ترغب النفوس إلى تأدية معناها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:17].

يقول :"(مساجد الله) فالآية على وجه كناية عن عمارة المسجد على وجه أكد من التصريح بذلك".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص230.
(2) المصدر السابق، ج5، ص348.
(3) المصدر السابق، ج2، ص80.
(4) المصدر السابق، ج3، ص417.

- وقوله تعالى ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طـه:104]

يقول :" (أمثلهم طريقة) وأماثل القوم كناية عن خيارهم".(1)

- وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21].

يقول: "(أكرمي مثواه) فهو كناية عن إكرام نفسه، وإحسان تعهده كما يقال المقام العالي ويكنى به عن السلطان".(2)

- وقوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:112].

يقول :"(الراكعون الساجدون) في الصلاة إنما كني بالركوع والسجود عن الصلاة؛ لكون جهة العبادة أظهر فيهما بالنسبة إلى باقي أركان الصلاة ".(3)

- ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114].

يقول :"(إن إبراهيم لأواه) الملائم أنه كناية عن كمال الرأفة، ورقة القلب؛ لأنه ذكر في معرض التعليل لاستغفاره لأبيه".(4)

يفهم أن البروسوي يرى أن المعنى المناسب لكلمة أواه كناية عن الرأفة والرحمة، وهذا ينسجم مع حال سيدنا إبراهيم الذي يتعطف لأبيه الكافر، وهذه الكناية في غاية اللطافة والحسن والجمال.

ومن يدقق النظر في تخريج البروسوي لبعض الكنايات التي تصف حال الكافرين المنكرين للبعث يوم القيامة يرى حسن معناها ومقصودها.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص431.
(2) المصدر السابق، ج4، ص246.
(3) المصدر السابق، ج3، ص546.
(4) المصدر السابق، ج3، ص 546.

- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:42].

يقول: "(لو تسوى بهم الأرض) فتسوية الأرض بهم كناية عن دفنهم، أو يودون أنهم لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكأنهم والأرض سواء".(1)

- ومثله قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران:91].

يقول: "(ملء الأرض ذهباً) الذهب كناية من أعز الأشياء، وكونه ملء الأرض كناية عن كونه في غاية الكثرة، والتقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدر على أعز الأشياء بالغاً إلى غاية الكثرة، وقدر على بذله لنيل أعز المطالب، لا يقدر على أن يتوسل بذلك إلى تخليص نفسه من عذاب الله تعالى، والمقصود بيان أنهم آيسون من تخليص أنفسهم من العقاب".(2)

- وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 174].

يقول البروسوي: "(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فليس المراد نفي الكلام حقيقة، لئلا يتعارض بقوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر:92]، ونحوه بل هو كناية عن الغضب لأن نفي الكلام لازم للغضب عرفاً".(3)

وهذا يوافق كلام ابن عاشور في تفسيره للآية يقول: "نفي الكلام والمراد به لازم معناه وهو الكناية عن الغضب".(4)

فالله تعالى عبر عن غضبه بالإعراض عن المغضوب عليهم (اليهود) بأن لا يكلمهم على سبيل الكناية لإرادة لازم معناه وهو الغضب.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص215.
(2) المصدر السابق، ج2، ص63-64.
(3) المصدر السابق، ج1، ص282.
(4) تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص124.

- وكذلك في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:142].

يقول البروسوي: "(ولما يعلم الله) عدم العلم كناية عن عدم المعلوم أي لما تجاهدوا، لأن وقوع الشيء يستلزم كونه معلوماً لله ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم فنزل نفي العلم منزلة نفي الجهاد للتأكيد والمبالغة؛ لأن انتفاء اللازم برهان على انتفاء الملزوم".(1)

فالله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء فكنى بقوله (ولما يعلم) عن الجهاد فهو يعلم من يجاهد ومن لا يجاهد، ويفهم أنه يريد إثبات المعنى علم من يجاهد ومن لا يجاهد لله، فتكون من طريق الكناية عن نسبة.

كما يقول الشوكاني :" (ولما يعلم) كناية عن نفي المعلوم، وهو الجهاد، والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر: أي الجمع بينهما".(2)

وتنقسم الكناية باعتبار ذاتها إلى مفردة ومركبة، المفردة فهي ما كانت الكناية حاصلة في اللفظة الواحدة. (3)

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:5].

يقول البروسوي :" وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه".(4)

- وقوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:187]

يقول :"(باشروهن) المباشرة إلزاق البشرة بالبشرة، كنى بها عن الجماع الذي يستلزمها".(5)

هنا المباشرة كناية عن الجماع.

---

(1) تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص105، وانظر : ج4، ص400، آية 33.
(2) فتح القدير، ج1، ص518.
(3) انظر الطراز، ج1، ص326.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص74.
(5) المصدر السابق ج1، ص303.

- وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم:20].

يقول: "(ولم يمسسني بشر) فإن المس كناية عن الوطء الحلال".(1)

- ومثله قوله تعالى﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 23].

يقول البروسوي: "(دخلتم بهن) ومعنى الدخول بهن إدخالهن الستر، والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع".(2)

- وقوله تعالى ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [طـه:22]

يقول :"(بيضاء) أي كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص، كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه".(3)

فأراد بالكناية هنا نفي إصابة يد موسى عليه السلام بالبرص وإثبات المعجزة له.

- وقوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:82].

يقول: "ويجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم، وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام".(4)

- وقوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:165].

يقول البروسوي: "وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص".(5)

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:85]

يقول: "(مسوداً) كناية عن الاغتمام والتشوير".(6)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص325.
(2) المصدر السابق، ج2، ص192.
(3) المصدر السابق، ج5، ص381.
(4) المصدر السابق، ج3، ص498.
(5) المصدر السابق، ج6، ص321.
(6) المصدر السابق، ج5، ص45.

- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]

يقول :"(جاء أحد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المطمئن،والمجيء منه كناية عن الحدث".(1)

- قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:21].

يقول البروسوي :"(مودة) وعن الحسن البصري المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد، كما قال تعالى ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ [مريم:21] أي في حق عيسى عليه السلام".(2)

وأما المركبة "فإذا وردت الكناية على طريق التركيب كانت أشد ملائمة، وأعظم بلاغة".(3)

- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:125].

يقول :"(يشرح صدره للإسلام) فيتسع له ينفسح، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة بحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه".(4)

يفهم من تفسيره للآية أنها وردت على صورة المشابهة، فإنك تقول: جعل نفسه قابلة لحلول الإيمان مهيأة كمصفاة تجعله صافيا خاليا عما ينافيه ويمنعه.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص362.
(2) المصدر السابق، ج7، ص21.
(3) انظر الطراز، ج2، ص328.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص105.

- وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176].

يقول: "(ولكنه أخلد إلى الأرض) كناية عن الإعراض ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها والكناية أبلغ من التصريح".(1)

"واعلم السبب في كون الكناية أبلغ من الإفصاح، وهو أن الكناية ذكر الشيء، بواسطة ذكر لوازمه، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم. ومعلوم أن ذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله".(2)

- وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29].

يقول: "(عن يد) عن يد فالإعطاء عن يد كناية عن الانقياد والطوع، يقال أعطى فلان بيده إذا استسلم وانقاد".(3)

- وقوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29].

يقول: "(ونفخت فيه من روحي) هو كناية عن إيجاد الحياة".(4)

ويقول ابن الأثير: "وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة: تمثيلاً، وإردافاً، ومجاورة، فأما التمثيل فهو أن تراد الإشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك مثالاً للمعنى".(5)

- وقد ذكر البروسوي قسماً واحداً وهو التمثيل في تفسيره للآية الكريمة: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [القمر:11]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص294.
(2) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م، ص162.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص433.
(4) المصدر السابق، ج4، ص485.
(5) المثل السائر، ج2، ص199.

يقول :"(بماء منهمر) انسكب وسال، المعنى بماء كثير منصب انصباباً شديداً، كما ينصب من أفواه القرب لم ينقطع أربعين يوماً، وكان مثل الثلج بياضاً وبرداً، وهو تمثيل لكثرة الأمطار، وشدة انصبابها، سواء جعل الباء في قوله بماء للاستعانة وجعل الماء كالآلة لفتح ابواب السماء، وهو ظاهر أو للملابسة".[1]

يفهم من تفسير البروسوي: "وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها" كناية عن الكثرة كما يقال: (فلان نقي الثوب) أي منزه من العيوب، وهو في نزاهته كنزاهة الثوب من الأدناس"[2]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص268.
(2) انظر الطراز، ج1، ص328.

المبحث الخامس

التعريض

تعريف التعريض:

التعريض في اللغة:

"عرَّض لفلان وبه إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه، يقال: عرَّض تعريضاً، إذ لم يبين، والتعريض خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء".[1]

التعريض في الاصطلاح:-

فقد عرفه ابن الأثير، فقال: "هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عُريان، والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة، ولا مجازاً، إنما دل عليه من طريق المفهوم، وإنما سمي التعريض تعريضاً؛ لأن المعنى فيه يفهم من عُرضه، أي من جانبه، وعُرّض كل شيء جانبه".[2]

وقد عرفه العلوي: "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به".[3]

ويعرف البروسوي التعريض أثناء تفسيره لبعض الآيات القرآنية منها :

- قوله تعالى :﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:235].

"(ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) التعريض إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره".[4]

- وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء:63].

---

(1) اللسان : (عرض)

(2) المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص198.

(3) الطراز، ج1، ص296.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص372.

يقول: "(فسألوهم إن كانوا ينطقون) والتعريض تورية الكلام عن الشيء بالشيء، وهو أن تشير بالكلام على شيء والغرض منه شيء آخر، فالغرض من قوله بل فعله كبيرهم الإعلام بأن من لم يستطيع دفع المضرة عن نفسه كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره فكيف يصلح إلهاً؟!".(1) أنه لم يرد نسبة الفعل إلى كبير الأصنام، وإنما قصد إثباته لها على رمز خفي، ومسلك تعريض، يبلغ به إلزام كحجة لهم، والتسفيه لعقولهم. (2)

- وأيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:104].

يقول: "في هذه الآية دليلان أحدهما على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض، وأما قولهم لا بأس بالمعاريض، وهو أن يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً، ومراده شيء آخر، فإنما أرادوا ذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم يكن حاجة ولا ضرورة، فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً".(3)

فالتعريض عند عالمنا البروسوي: تورية الكلام عن الشيء بالشيء، وهو أن يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر.

والتعريض في القرآن الكريم ورد كثيراً بأحوال الكفرة والمنافقين في الاستهزاء والسخرية بعقولهم، والتقليل من قدرهم ومنزلتهم، واعلم أنك لو تأملت في تفسير البروسوي يتبين لك نبوغ فكره الصافي، في استخراج المواضع الدقيقة التي يكمن فيها التعريض.

- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44]

يقول البروسوي: "(وقيل بعداً للقوم الظالمين) فيه تعريض بأن سالكي مسالكهم في الظلم والتكذيب، يستحقون مثل هذا الإهلاك والدعاء عليهم".(4)

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 31]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص501.
(2) الطراز، ج1، ص298.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص199.
(4) المصدر السابق، ج4، ص146.

يقول:"(لمن الظالمين) لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم، أو من الظالمين لأنفسهم بذلك، فإن وباله راجع إلى أنفسهم، وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترزالهم".(1)

- وقوله تعالى: ﴿عَسَى أن لا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: 48].

يقول البروسوي (لا أكون بدعاء ربي شقياً) أي بدعائي إياه خائباً، ضائع السعي، وفيه تعريض لشقائهم في عبادتهم آلهتهم".(2)

- وكذلك قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 77].

يقول:"(فإنهم عدو لي) حيث قال : عدو لي لا لكم؛ تعريضاً لهم، فإنه أنفع في النصح من التصريح".(3)

- وكذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264].

يقول: "فيه تعريض بأن كلا من الرئاء والمن والأذى من خصائص الكفار، ولابد للمؤمنين أن يتجنبوها".(4)

- وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: 15].

يقول: "تعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم".(5)

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135].

يقول :" (وما كان من المشركين) تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم أتباع إبراهيم مع إشراكهم بقولهم : عزير ابن الله والمسيح ابن الله".(6)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص128.
(2) المصدر السابق، ج5، ص340.
(3) المصدر السابق، ج6، ص300.
(4) المصدر السابق، ج1، ص428.
(5) المصدر السابق، ج3، ص17.
(6) المصدر السابق، ج1، ص244.

- وقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 186].

يقول: "الفائدة في إعادته رد المعلومات كلها إلى الله تعالى، فيكون التكرار على وجه التأكيد والتمهيد للتعريض بجهنم".[1]

- وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 114] .

يقول :"(يؤمنون بالله واليوم الآخر) على الوجه الذي نطق به الشرع تعريض بأن إيمان اليهود مع قولهم عزير ابن الله، وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته، ليس من الإيمان بهما في شيء أصلاً. (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) تعريض بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهي عن المعروف. (يسارعون في الخيرات) تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشر".[2]

- وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56].

يقول: "(فإن حزب الله هم الغالبون) حزب الله هم الغالبون وتشريفاً لهم بإضافتهم إليه تعالى وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان".[3]

- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]

يقول: "(ولا يخافون لومة لائم) فيه تعريض بالمنافقين إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يكادون يعلمون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص308.
(2) المصدر السابق، ج2، ص114.
(3) المصدر السابق، ج2، ص413-414.
(4) المصدر السابق، ج2. ص411.

الفصل الثالث

توجيه القراءات القرآنية بلاغياً
عند البروسوي

الفصل الثالث

توجيه القراءات القرآنية بلاغياً

إن علم القراءات لمن أشرف العلوم في المنْقبة، وأعلاها في المرتبة، وأجمعها للفوائد، وأحواها للمحامد، فالقرآن نزل على سبعة أحرف، كما قال سيدنا محمد ﷺ:" أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".(1)

فتنوعت القراءات مما جعل هناك اختلافاً في القراءات، وهذا الاختلاف كان له فوائد جمة،(2)، منها :-

1- ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية.

2- تعد من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه، لم يتطرق إلى تضاد ولا تناقض، ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وهذا برهان قاطع على صدق ما جاء به محمد ﷺ.

3- ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته.

والقراءات التي وصلت إلينا بطرق متواترة، عشر قراءات، نقلها إلينا مجموعة من القراء، امتازوا بدقة الرواية، وسلامة الضبط، وجودة الإتقان، ومنها(3):-

1- قراءة نافع المدني، وأشهر من روى عنه قالون وورش.

2- قراءة ابن كثير المكي، وأشهر من روى عنه البزي وقنبل.

3- قراءة أبي عمرو البصري، وأشهر من روى عنه الدوري والسوسي .

4- قراءة ابن عامر الشامي، وأشهر من روى عنه هشام وابن ذكوان.

5- قراءة عاصم الكوفي، وأشهر من روى عنه شعبة وحفص.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح4991، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2003م، ص1066.

(2) انظر: النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق على محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ج1، ص52.

(3) انظر: فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم، إعداد محمد سعيد اللحام، عالم الكتب، ط1، 1995م، ص3.

6- قراءة الكسائي الكوفي، وأشهر من روى عنه أبو الحارث، وحفص الدوري.

وقد قرر علماء القراءات أن ما وراء القراءات العشر المعروفة، شاذ غير متـواتر، لا يجوز اعتقاد قرآنيته، ويحرم القراءة به في الصلاة، والتعبد بتلاوته. (1)

وقد اعتنى البروسوي في تفسيره للقراءات، وسار على نهج من سبقوه من المفسرين في توضيح المعاني البلاغية لبعض القراءات.

وقد أمعنت النظر في تفسيره، وتبين تمكن البروسوي وقدرته علـى كـشف الوجـوه البلاغية للقراءات المختلفة.

- ففي قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: 58]. وفيها قراءتان:

الأولى: قرأه الكوفيين بتاءين على الخطاب للكفار، والثانية: قرأه الباقون بياء وتـاء علـى الإخبار عن الكفار".(2)

وقال البروسوي: "وتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات على أن يكون الـضمير للكفـار، وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ هو إظهار العنف الشديد، والإنكار البليغ".(3)

وجه البروسوي في هذه الآية قراءة الكوفيين بلاغياً من خلال قوله وتذكرون على الخطـاب بطريق الالتفات على أن يكون الضمير للكفار، ومن ثم أشار إلى فائدة الالتفات جـاء علـى التوبيخ وبيان العنف الشديد.

- وجاء الالتفات في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: 11].

ذُكِرت في الآية قراءتان، وذلك في قوله :" **ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**" حيث قرأه أبو بكر وأبوعمرو بالياء، وقرأ الباقون بالتاء، وحجة من قرأ بالياء أنه حمله على لفظ الغيبة المتقدم في قولـه: "**يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**" أي: يرجع الخلق، والخلق هم المخلوقون كلهم، لكـن وحّد اللفظ في قوله :" **يُعِيدُهُ**" رداً على توحيد لفظ الخلق، ثم جمع في قوله (يرجعـون) رداً على معنى الخلق، وحجة من قرأ بالتاء أنه رده إلى الخطاب بعد الغيبة وهـو كثيـر فـي القرآن. (4)

---

(1) انظر: حجة القراءات، أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص14.

(2) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالـب، تحقيـق محيـي الـدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1984م ج2، ص246.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص221.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص183.

وهذا ما يوافق قول البروسوي: "(ترجعون) تردون لا إلى غيره، والالتفات للمبالغة في الترهيب، وقرئ بياء الغيبة والجمع باعتبار معنى الخلق".(1)

- وفي قوله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: 25].

في الآية قراءتان حيث قرأ حمزة والكسائي بإضافة (مائة) إلى (سنين)، ولم يضف الباقون ونَوَّنُوا (مائة). (2)

وقد أورد البروسوي هاتين القراءتين، موضحاً الوجهة البلاغية فيها، فقال: " (ثلاث مائة سنين) عطف بيان لثلاثمائة لا تمييز، وإلا لكان أقل مدة لبثهم عند الخليل ستمائة سنة، لأن أقل الجمع عنده اثنان، وأما على قراءة الإضافة فأقيم الجمع مقام المفرد لأن حق المائة أن يضاف إلى المفرد وجه ذلك أن المفرد في ثلاثمائة درهم في المعنى جمع فحسب إضافته إلى لفظ الجمع كما في (الأخسرين أعمالا) فإنه ميز بالجمع وحقه المفرد نظراً إلى مميزه".(3)

وقد أظهر البروسوي في هذه الآية صورة من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وضع الجمع موضع المفرد، لأن حق المائة أن يضاف إلى المفرد، من خلال التوجيه البلاغي في قراءة الإضافة.

- وقوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: 12].

فالآية قرئت بقراءتين إحداهما بضمير المخاطب (عجبتَ) وهي قراءة أغلب القراء، والثانية بضمير المتكلم (عجبتُ) وقراءة حمزة والكسائي. (4)

يقول البروسوي: "والعجب في صفة الله تعالى قد تكون في معنى الإنكار الشديد والذم، كما في قراءة بل عجبت بضم التاء، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى، ويقول في المفردات: "وقرأ بعضهم بل عجبت بضم التاء وليس ذلك إضافة التعجب إلى نفسه في الحقيقة، بل معناه إنه مما يقال عنده عجب، أو تكون عجبت مستعارة لمعنى أنكرت نحو: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: 73] (5)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص14.

(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص 58.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج5، ص237-238.

(4) الحجة للقراء السبعة، لأبي على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص606.

(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص449.

فعلى قراءة ضم التاء يرى البروسوي أن العجب بمعنى الإنكار الشديد، ويستدل على قوله بذكر ما يوافقه في المفردات بأن عجبت مستعارة لمعنى أنكرت.

- وقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: 12].

قوله تعالى :"**لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**" يقرأ بالتشديد والتخفيف، ومعناه: أن ذاكر أخيه بالسوء في غيبته، وهو لا يحس به كأكل لحمه ميتاً".(1)

ويقول البروسوي: "وقيل من الأخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف إليه مطلقاً، وشدده نافع أي قرأ ميتاً بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً ...، وفي قوله ميتاً إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلمه، فكيف يحرم فدفعه بأن أكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً لا يؤلمه، ومع هذا هو في غاية القبح".(2)

ويبين البروسوي صورة بلاغية على قراءة من شدد ميتاً حيث يصور المغتاب بأكل لحم الإنسان ميتاً تشبيهاً تمثيلياً، ويشير إلى قوله ميتاً لا يتألم وهذا في غاية القبح والشناعة.

وقد أحسن البروسوي في الكشف عن بلاغة اللفظ القرآني، وبيان الدقة في معناه أثناء تخريجه البلاغي لبعض القراءات القرآنية.

- في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

يقول البروسوي: "قرأ يعقوب ليعبدوني وكذا يطعموني ويستعجلوني...، بإثبات ياء المتكلم فيهن وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، والعبادة أبلغ من العبودية؛ لأن العبودية إظهار التذلل، والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال".(3)

فمعنى كلام البروسوي أنه وافق قراءة الباقين بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً، لأن العبادة أبلغ من العبودية، أي بالعبادة يدرك كلاً من الجن والإنس غاية التذلل والخضوع لله تعالى.

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: 22].

---

(1) انظر: الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979م، ص331.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص87.

(3) المصدر السابق، ج9 . ص174.

يقول البروسوي: "(مكراً كباراً) أي: كبيراً في الغاية وقرئ بالتخفيف، والأول أبلغ منه، وهو أبلغ من الكبير نحو طوال وطويل، ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم في منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على أذية نوح".(1)

فالقراءة الأولى بالتشديد تفيد المبالغة في المكر وإيذاء نوح عليه السلام.

وهذا يوافق تفسير الزمخشري حيث يقول: "(مكراً كباراً): قرئ بالتخفيف والتثقيل. والكبار أكبر من الكبير، والكبار أكبر من الكبار، ونحو طوال وطوّال".(2)

واعلم أن هذه الآية قد استدل فيها الذين يطعنون في كلام الله تعالى من جهة مخالفته للغة العربية، فكلمة (كباراً) في الآية تتواءم مع ما يعهد في لغة قريش والقياس: "كبيراً" ولكن يرد ما زعموه من اللحن والخطأ يحيى بن العلوي بأن الأئمة العربية لهم تأويلات كثيرة قوية، وإن لم يكن في لغة قريش لكنه وارد في لغة العرب، فلا طاعن به لأنه فصيح. (3)

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28].

اختلف القراء في لفظ (ترجعون) وما جاء منه إذا كان من رجوع الآخرة نحو (ثم إليه سواء كان غيباً أو خطاباً، وكذلك ترجع الأمور، ويرجع الأمر) فقرأ يعقوب بفتح حرف المضارعة، وكسر الجيم، في جميع القرآن، وذلك على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من رجع .

- ووافقه أبو عمرو في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 281]. ووافقه حمزة والكسائي وخلف في: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115].

يقول البروسوي: "فلما أثبت الرجوع إليه لأنه أمر ضروري، إما بالاختيار كقراءة يعقوب ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم، وإما بالاضطرار كقراءة الباقين أشار إلى أن الذي ترجعون إليه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]. (4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص183.

(2) الكشاف، للزمخشري، ج6، ص213.

(3) انظر: الطراز، يحيي بن العلوي، ج3، ص340-341.

(4) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، تأليف محمد سالم محيسن، ج1، دار الجيل بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ص131.

فالبروسوي أورد قراءتين لقوله تعالى (ترجعون) قراءة بفتح التاء وكسر الجيم، تحمل معنى الاختيار والإرادة، وقراءة بضم التاء وفتح الجيم، تدل على معنى الاضطرار، وذلك على البناء للمفعول، وهذا موافقة اللفظ للمعنى، وهو ما يطلق عليه أهل البلاغة قوة اللفظ لقوة المعنى.

- وقوله تعالى: ﴿ **لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ** ﴾ [البقرة: 233].

"(ولا تضار) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (تضارُّ)برفع الراء مشددة، على أنه فعل مضارع من ضار، مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم، ولا نافية، ومعناها النهي للمشاكلة، وقرأ أبو جعفر بخلف عنه بسكون الراء مخففة، على أنه مضارع من (ضار، يضير) ولا الناهية والفعل مجزوم بها .

وقرأ الباقون بفتح الراء مشددة، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر، على أنه فعل مضارع من (ضارّ) ولا ناهية والفعل مجزوم بها، ثم تحركت الراء الأخيرة تخلصاً من التقاء الساكنين على غير قياس؛ لأن الأصل في التخلص من الساكنين أن يكون للحرف الأول، وكانت فتحة لخفتها".[1]

يقول البروسوي :"(**لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ**) نهي أصله لا تضار بكسر الراء الأولى فتكون المرأة على الفاعلة، أو بفتح الراء الأولى فتكون المرأة هي المفعول بها الضرار وعلى الأول يكون بالمعنى لا تفعل المرأة الضرار بالأب بولدها، أي بسبب إيصال الضرر إلى الولد وذلك بأن تتمنع المرأة من إرضاعه مع أن الأب يوسع عليها في النفقة والكسوة فتلقى الولد عليه ....، وعلى الوجه الثاني لا يفعل الأب الضرار بالأم بأن ينزع الولد منها ولا مولود له بولده، أي لا تفعل الأم الضرار بالأب بأن تلقي الولد عليه والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعطافهما إليه، لأنه ليس بأجنبي من كل واحد منهما، فالحق أن يشفق عليه كل منهما، وللتنبيه على أنه جدير بأن يتفقا على استصلاحه، ولا ينبغي أن يضيرا به أو يتضارا بسببه".[2]

ففي الآية تخريج النهي إلى معنيين، قراءة تحمل معنى لا النافية ومعناها النهي للمشاكلة، وقراءة توضح الغرض البلاغي التي يخرج إليها النهي، وهو الاستعطاف كما وضحه البروسوي.

---

(1) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، محمد سالم محيسن، ج1، ص251.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص368.

- وقوله تعالى: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:105].

" قوله تعالى (حقيق على) يقرأ بإرسال الياء، وبتشديدها، فالحجة لمن أرسلها أنه جعل (على) حرفا، وأوقعها على ألا أقول، فكان بها في موضع خفض، والحجة لمن شدد أن أضاف الحرف إلى نفسه، فاجتمع فيه ياءان الأولى من أصل الكلمة، والثانية ياء الإضافة فأدغمت الأولى في الثانية، وفتحت لالتقاء الساكنين".(1)

يقول البروسوي: "أي جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق، فوضع على موضع الباء لإفادة التمكن، كقولك رميت على القوس، وجئت على حالة حسنة، أي رميت بالقوس وجئت بحالة حسنة أو ضمن حقيق معنى حريص ... وقرأ نافع على بتشديد الياء".(2)

فالبروسوي يرى أن الآية قرئت بقراءتين؛ قراءة إرسال الياء، وتشديدها، ويفهم من كلامه أنه يوافق القراءة الأولى بإرسال الياء ويوجه القراءة بلاغيا أي استعير لفظ (على) لمعنى (الباء) على سبيل الاستعارة التبعية بجامع التمكن، لأن الباء تكون للإلصاق، ... وتقع موقع مع، وتقع موقع في وعلى. (3)

- وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: 27].

"(قطعا من الليل) قرأه ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء وفتحها الباقون. وحجة من فتح أنه جعله جمع (قِطعة) كـ (دِمنة ودِمَن) ففيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون مظلماً حالاً من الليل، ولا يكون حالاً من القطع ولا من الضمير في الليل، لأن ذلك جمع و(مظلماً) واحد، وحجة من أسكن أنه أجراه على التوحيد، على أنه بعض الليل فيكون مظلماً صفة (لقطع) أو حالاً من الضمير في الليل"(4)

يقول البروسوي :" **وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا**" لفرط سوادها وظلمتها، و(مظلما) حال من الليل والعامل فيه معنى الفعل، أي قطعاً كائنة من الليل في حال كونه مظلماً، وقطعاً

(1) الحجة في القراءات، ابن خالويه، ص159.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص223
(3) الصاحبي، ابن فارس، ص67.
(4) الكشف عن وجوه القراءات و ج1، ص517.

بفتح الطاء جمع قطعة مفعول ثانٍ لأغشيت، وقرئ قطعاً بسكون الطاء، وهو مفردٌ من الشيء المقطوع، فحينئذ يصح أن يكون مظلماً صفة له، لتطابقهما في الإفراد والتذكير".(1)

فالآية قرئت بقراءتين؛ الأولى بإسكان الطاء في قوله (قطعاً) والثانية فتح الطاء، فذكر البروسوي التوجيه النحوي للقراءتين كما وجه القراءة الثانية بلاغياً بأن كلمة قطعاً تفيد معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار.

- وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

قوله: "**إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ**" قرأ نافع وحده رفعاً، وقرأ الباقون مثقال نصباً، ووجه الرفع أنه أسند الفعل إلى المثقال. (2)

وهذا ما ذكره البروسوي في تفسيره :"(مثقال حبة من خردل) والمعنى مقدار ما هو أصغر المقادير التي توزن بها الأشياء من جنس الخردل الذي هو أصغر الحبوب المقتاتة، ... لأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وإنها أي: القصة إن تك مثقال حبة بالرفع كما هو قراءة نافع، وحينئذ كان تامة وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة".(3)

وقد كشف البروسوي عن الوجهة البلاغية في كل قراءة، فقال قراءة النصب كناية عن الصغر، وهذا يوافق ما ذكره الزمخشري في تفسيره: "قرئ (مثقال حبة) بالنصب والرفع، فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان، أي كانت مثلاً في الصغر والقماءة كحبة الخردل".(4)

ووضح الوجهة البلاغية في قراءة الرفع. كان الضمير القصة، وهذا من البديع الذي يسمى التلميح" وهو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور أو مثل سائر من غير ذكره".(5) وقد سرد الزمخشري القصة فقال: "وروي أن ابن لقمان قال له: أرأيت الحبة تكون في مقل

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص43.
(2) الحجة للقراء السبعة، أبو على الفارسي و ج5، ص320.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص83.
(4) الكشاف، ج5، ص13.
(5) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص340.

البحر – أي: في مغاصه – يعلمها الله؟ فقال: إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة، لأن الحبة في الصخرة منها في الماء".[1]

وهناك وجهة بلاغية أخرى على قراءة النصب باعتبار كان ناقصة، واسمها محذوف، وقدره البروسوي العمل والتقدير (وإن كان العمل مثقال حبة)، ويتضح من ذلك أن في الآية إيجـازاً بحذف اسم كان، وعلى قراءة الرفع باعتبار كان تامة، وعليه تكون مثقال فاعل لكان التامة.

- وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 10].

قوله: "(الظنونا) و(الرسولا) و(السبيلا) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بألف في الثلاثة في الوصل والوقف، وكذلك حفص وابن كثير والكسائي، غير أنهم يحذفون الألف في الوصل. وقرأ الباقون بحذف الألف في الوصل والوقف".[2]

ولقد أبدع البروسوي فيما قاله في توجيه القراءتين بلاغياً في الآية الكريمـة، وهـو نظـم الألفاظ القرآنية في أحسن تأليف، بمراعاة الفواصل وزيادتها تشبيهاً لها بالقوافي، فأظهرها في أبهى وأرق صورة حيث يقول: "وأثبت حفص في الظنونا، والسبيلا، والرسـولا، هـذه الألفات اتباعاً لمصحف عثمان ﷺ فإنها وجدت كذلك فبقيت على حكمها اليوم بغير الألـف في الوصل، وبالألف في الوقف. وقرئ الظنون بحذف الألف على ترك الإشباع في الوصل والوقف وهو الأصل والقياس وجه الأول أن الألف فريدة في أمثالها؛ لمراعـاة الفواصـل تشبيهاً لها بالقوافي، فإن البلغاء من الشعراء يزيدونها في القوافي إشباعاً للفتحة".[3]

- وقوله تعـالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40].

"قوله تعالى (خاتم النبيين) قرأ عاصم بفتح التاء، على معنى أن النبي عليه السلام ختم بـه النبيون، لا نبي بعده، فلا فعل له في ذلك، فمعناه آخر النبيين، لا نبي بعده، فالنبي فاعـل، وهو الاختيار".[4]

وقد ذكر البروسوي هذه القراءات ووضح الوجهة البلاغية في قراءة عاصم فقـال: "قـرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع بـه، والمعنـى وكان آخرهم الذي ختموا به، وقرأ الباقون بكسر التاء أي خاتمهم أي: فاعل الختم".[5]

---

(1) الكشاف، ج5، ص13.

(2) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص194–195.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص150.

(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص199.

(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص188.

فالبروسوي يوجه قراءة عاصم بفتح التاء توجيهاً بلاغياً، وهو التشبيه الختم بالفتح بمعنى ما يختم به كالطابع، فالنبي آخر الأنبياء، وختم به النبيون، لا نبي بعده.

- وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16].

قوله تعالى: " **ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**" القراءة على ضربين: قرأ أبو عمرو بإضافة (أكل إلى خمط) وقرا الباقون بتنوين (أكل) من غير أضافته. (1)

يقول البروسوي: "وجاء في بعض القراءات بإضافة الأكل إلى الخمط على أن يكون الخمط كل شجر مر الثمر، أو كل شجر له شوك، أو هو الأراك على ما قاله البخاري والأكل ثمره. قال في المختار: "الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم". (2)

فالقراءة بإضافة أكل إلى خمط تعني ضرب من الأراك، وبذلك يظهر الزجاج الوجهة البلاغية، وهي من البديع الذي يسمى المشاكلة، بمعنى ذكر الأراك بلفظ الخمط لوقوعه في صحبته.

- وقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: 47].

وقوله:"(ينزفون) قرأه حمزة والكسائي بكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتحها، وقرأ الكوفيون بكسر الزاي في الواقعة وفتحها الباقون. (3)

ويقول البروسوي :"(ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله من السكر، وبالكسر من أنزف الرجل إذا سكر وذهب عقله أو نفذ شرابه ... وقرئ ينزِفون أي بالكسر من قولهم أنزف القوم إذا نزف ماء بئرهم انتهى، ثم إنه أفرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر"(4)

فقراءة الكسر بمعنى نفد شرابه، توافق ما فسره ابن عباس في تفسيره للآية الكريمة؛ حيث يقول: "(ولاهم عنها ينزفون) ينفدون ويقال ولا هم منها يسكرون ولا تتصدع رؤوسهم". (5)

---

(1) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص205.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص282.

(3) الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج2، ص224.

(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص458.

(5) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص375.

وقد ذكر البروسوي هذه القراءة ووضح فيها الوجهة البلاغية، وهي المشابهة من خلال قوله أنزف القوم إذا نزف ماء بئرهم انتهى فهو شراب دائم أبداً.

كما وبيَّن إفراد ينزفون بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها كناية عن معظم مفاسد الخمر.

إذا فكرت وتدبرت في الألفاظ القرآنية، تجعلك تتذوق بلاغة معانيها، وفصاحة ألفاظها، وجودة السياق القرآني، وذلك في النظر إلى أبنية ألفاظها، فإن الصائت يؤثر في تغيير المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:83].

ويوضح البروسوي ذلك من خلال تفسيره: "أي: عبادك المخلصين من ذرية آدم، وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، وعصمهم من الغواية. وقرئ بالكسر على صيغة الفاعل؛ أي الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى من غير شائبة الرياء".[1]

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64].

قوله: "**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي**" قرأ نافع وابن عامر "تأمروني أعبد" مخففة، غير أن نافعاً فتح الياء، ولم يفتحها ابن عامر، وقرأ ابن كثير: "تأمروني" بتشديد النون وفتح الياء، وقرأ الباقون بسكون الياء. وذلك حين دعوه إلى دين آبائه "أيها الجاهلون" أي: فيما تأمرون. [2]

فالبروسوي هنا يبين الوجهة البلاغية للاعتراض؛ حيث إن الجملة الاعتراضية تدل على أنهم أمروه بأن يعبد غير الله لفرط غباوتهم، فقال: "وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه عقيب ذلك، بأن يعبد غير الله وقالوا: استلم آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم، وأصله تأمرونني بإظهار النونين، ثم أدغمت أولاهما، وهي علم الرفع في الثانية، وهي للوقاية. وقد قرأ ابن عامر على الأصل ؛ أي بإظهارها، ونافع بحذف الثانية ؛ فإنها تحذف كثيرا".[3]

- وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

"قوله تعالى: "**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ**" قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر "ينادى المنادي" بغير ياء في الوصل، ووقف ابن كثير بياء، ووقف نافع وأبو عمرو بغير ياء، ووقف الباقون ووصلوا بياء.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص73.

(2) زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط1، 2002م، بيروت – لبنان، ص1235.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص147.

قال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي المنادي، والمنادي: إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس هلموا إلى الحساب، إن الله أمر أن تجتمعوا لفصل القضاء".(1)

وهذا ما أورده البروسوي في تفسيره موضحاً الوجهة البلاغية لكلمة (يناد) على سبيل المشاكلة فقال: "قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير المنادي بالياء في الوصل، وهو الأصل في اللغة، والباقون بغير ياء؛ لأن الكسر يدل عليه، واكتفى به والمنادي هو الملك النافخ في الصور، وهو إسرافيل عليه السلام، والنداء نفخه سمي نداء من حيث جعله علماً للخروج والحشر".(2)

- وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1].

يقول البروسوي: "(وانشق القمر) دلت صيغة الماضي على تحقق الانشقاق في زمن النبي عليه السلام، ويدل عليه قراءة حذيفة ﵁، وقد انشق القمر أي : اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق على عهد نبيكم.(3)

فقد وجه البروسوي قراءة حذيفة ﵁ (وقد انشق القمر) بلاغياً بدلالة صيغة الماضي على تحقق وقوع الانشقاق.

- وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33].

قوله (لؤلؤا) تقرأ بالهمز، وتركه، وبالنصب والخفض.(4)

وقد أكد البروسوي الإعجاز البياني للقرآن الكريم، أثناء تفسيره لكلمة لؤلؤاً، فيصف لنا عذوبة وسلاسة اللفظ القرآني، في غاية الحسن والإعجاب عن طريق التوجيه البلاغي لقراءة (لؤلؤا) فقال: "واللؤلؤ الدر سمي بذلك لتلالئه ولمعانه والمعنى ويحلون لؤلؤاً. وقرئ بالجر عطفاً على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ، ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ، وذلك لأنه لم يعهد الأسورة من نفس اللؤلؤ إلا أن تكون بطريق النظم في السلك".(5)

(1) زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج البغدادي، ص1345.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص140.
(3) المصدر السابق، ج9، ص261.
(4) انظر: الحجة في القراءات السبع، ص297.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص350.

- وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

(ضعف) يقرأ بضم الضاد، وفتحها. وهما لغتان، وذكرت الحجة في أمثال ذلك بما يغني عن الإعادة. (1)

ويقول البروسوي: "أي أصل ضعيف، وهو النطفة أو التراب على تأويل المصدر باسم الفاعل. والضعف بالفتح والضم خلاف القوة، وفرقوا بأن الفتح لغة تميم واختاره عاصم وحمزة في المواضع الثلاثة والضم لغة قريش واختاره الباقون، ولذا لما قرأه ابن عمرو رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ بالفتح قال اقرأه بالضم".(2)

وقد أجاد البروسوي في وصف الإنسان بالضعف بتأويل المصدر باسم الفاعل، كما أعلن عن سلاسة القرآن الذي يراعي لغات العرب ولهجاتهم، لتكون طيبة المجرى على ألسنتهم.

- وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: 65] .

يقول البروسوي:"(تفكهون) والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون بالنون، والتفكن التعجب والتفكر والتندم".(3)

وهذا المعنى يوافق ما ذكره مكي بن أبي طالب في كتابه: "(فظلتم تفكهون) تقولون: إنا لمغرمون، فالتفسير تندمون على ما سلف من ذنوبكم، ... وقيل معنى تفكهون تعجبون".(4)

ففي الآية تخريج القراءة بالتفكه على سبيل الاستعارة، وقراءة تفكنون تدل على التعجب والندم على ما سلف من ذنوبهم.

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: 89].

يقول البروسوي: "(فروح)أي فله استراحة، وقرئ بضم الراء وفسر بالرحمة؛ لأنها سبب لحياة المرحوم فإطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية، وبالحياة الدائمة التي لا موت فيها".(5)

(1) الحجة في القراءات السبع، ص297.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص57.
(3) المصدر السابق، ج9، ص332.
(4) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص 305-306.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص339.

فهذه الاستعارة، من أعجب الاستعارات، لأنها زينت معنى اللفظ وازداد حسناً وجمالاً بهذا الوجه البلاغي.

وهذا المعنى يوافق ما ذكره الزمخشري في تفسيره: "(فروح) فله استراحة. وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ "فرُوح" بالضم. وقرأ به الحسن وقال: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم".(1)

- وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25].

قوله (مما خطيئاتهم) إجماع القراء على جمع السلامة إلا أبا عمرو فإنه قرأه (خطاياهم) على جمع التكسير وقال: إن قوماً كفروا ألف سنة لم يكن لهم إلا خطيات بل خطايا، واحتج أصحاب القراءة الأولى بأن الألف والتاء قد تأتي على الجمع القليل والكثير. ودليله قوله تعالى ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 27]. ولا يقال هذا جمع قليل.(2)

وهذا يوافق ما أورده البروسوي في تخريجه البلاغي للقراءات فيقول: "وقرأ أبو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة؛ لأن المقام مقام تكثير خطيئاتهم لأنهم كفروا ألف سنة، والخطيئات لكون جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة إلا بالقرينة، والظاهر من كلام الرضي أن كل واحد من جمع السلامة، والتكثير لمطلق الجمع من غير النظر إلى القلة والكثرة، فيصلحان لهما، ولذا قيل إنهما مشتركان بينهما، واستدلوا عليه بقوله تعالى"**مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**".(3)

فقراءة أبي عمرو تصلح للمبالغة؛ لأنها جاءت بمقام تكثير الخطايا، وقراءة الجمهور تفيد المبالغة في التكثير لمطلق الجمع دون النظر إلى القلة والكثرة، كما وضح البروسوي.

- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13].

---

(1) الكشاف، الزمخشري، ج6، ص40.

(2) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص353.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص185.

"قوله تعالى: (انظرونا) يقرأ بوصل الألف، وضم الظاء، وبقطعها وكسر الظاء، فالحجة لمن وصل أنه جعله من الانتظار، والحجة لمن قطع أنه جعله بمعنى التأخير".(1)

يقول البروسوي: "فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والإيصال؛ لأن النظر بمعنى الإبصار لا يتعدى بنفسه، وإنما يتعدى بإلى، وقرأ حمزة أنظرونا من النظرة وهي الإمهال على أن تأنيهم في المضي ليلحقوا بهم إنظار لهم وإمهال".(2)

فالبروسوي هنا يبين الوجهة البلاغية للحذف والإيصال، أي انظروا إلينا لنقتبس النور الذي بين أيديكم.

- وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: 9].

قوله تعالى: "ومن قبله" يقرأ بكسر القاف وفتح الباء، وبفتح القاف وسكون الباء".(3)

يقول البروسوي: "(ومن قبله) ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد، وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط أهل مصر".(4)

يتضح من كلام البروسوي توجيه قراءة فتح القاف وسكون الباء بلاغياً من قبيل التعميم بعد التخصيص، وهذا قسم من أقسام الإطناب؛ لتقوية المعنى وتوكيده، ولشمول بقية الأفراد.

- وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

قوله: "وقرن" قرأ عاصم ونافع بفتح القاف، وقرأ الباقون بالكسر. وحجة من كسر أنه جعله من الوقار، فهو مثل رعِد وزنَّ، لأنه محذوف الفاء، وأصله واو، قرْن من وقر يقر مثل وعد يعد، وأصل يقر يوقر، كما أن أصل يعد يوعد، فلما وقعت الواو بين ياء وكسرة حذفت، لغة مسموعة لا يستعمل غيرها، وجرت التاء والنون والألف مجرى الباء في الحذف، لئلا يختلف الفعل، وأصل (وقرن) (و أوقرن) فحذفت الواو و على ما عللّنا، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف، فصار الابتداء بقاف مكسورة، ويجوز أن تكون

---

(1) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص342.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج9، ص359.
(3) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص351.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص135.

هذه القراءة مشتقة من القرار، وهو السكون، يقال : قرّ في المكان يقرّ، على "فعل يفعِل" فهي اللغة المشهورة المستعملة الغاشية، فيكون الأصل في (وقرن) (وأقررن) فتحذف الراء الأولى، استثقالا للتضعيف، ... وحجة من قرأ بفتح القاف أنها لغة من قرَرْن في المكان يقال فيها : قررتُ في المكان أقر ... وقيل إن هذه القراءة مشتقة من " قررتُ به عينا أقر" وليس المعنى على هذا . لم يؤمرن بأن تقرّ أعينهن في بيوتهن، إنما أمرن بالقرار والسكون في بيوتهن، وترك التبرج، أو بالوقار في بيوتهن، فهذا هو المعنى الذي عليه التفسير، وهو المفهوم في الآية، والاختيار كسر القاف لأن عليه المعنى الصحيح".(1)

وهذا ما يؤكده البروسوي في تفسيره: "قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر بفتح القاف في المضارع من باب علم، وأصله أقررن نقلت حركة الراء الأولى إلى القاف، وحذفت لالتقاء الساكنين، ثم حذفت همزة الوصل استغناء عنها، فصار قرن ووزنه الحالي فلن، والأصل أفعلن، والباقون بكسرها لما أنه أمر من وقر يقر وقار إذا ثبت وسكن، وأصله أوقرن فحذفت الواو تخفيفاً، ثم الهمزة، فاستغناء عنها فصار قرن ووزنه الحلي علن أو من قر يقر بكسر القاف في المضارع فأصله أقررن نقلت كسرة الراء إلى القاف، ثم حذفت فاستغني عن همزة الوصل فصار قرن، ووزنه الحالي فلن، والمعنى الزمن يا نساء النبي بيوتكن واثبتن في مساكنكن. والخطاب وإن كان لنساء النبي فقد دخل فيه غيرهن".(2)

أورد البروسوي القراءتين ذاكراً الوجهة الصرفية فيها كما ذكر الوجهة البلاغية لهما، مؤيداً ما ذهب إليه القراء باقي القراء بالكسر التي تعنى الوقار والثبات، وهي أن يكون اللفظ ملائماً للمعنى، وهذا ما يطلق عليه أهل البلاغة الائتلاف والملاءمة، فإن اللفظ (وقرن) فصيحاً وبليغاً، لانتظامه وجودة اتساقه مع معنى الوقار.

- ومنه أيضاً بيان الائتلاف وملاءمة اللفظ للمعنى، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: 34]

يقول البروسوي واتفق القراء على الإفراد في صلاتهم هنا، وفي الأنعام بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين؛ لأنه لم يكتنفها فيهما ما كنفها في المؤمنين قبل وبعد من عظيم الوصف المتقدم، وتعظيم الجزاء في المتأخر، فناسب لفظ الجمع، ولذلك قرأ به أكثر القراء، ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد".(3)

- وفي قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14].

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج2، ص198.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص171.

(3) المصدر السابق، ج10، ص169.

قوله تعالى: (بل ران على قلوبهم) اتفق القراء على إدغام اللام في الراء؛ لقربها منها في المخرج، إلا ما رواه حفص عن عاصم من وقوفه على اللام وقفة خفيفة ثم يبتدئ (ران على قلوبهم) ليعلم بانفصال اللام عن الراء".[1]

وهذا القول يوافق ما أورده البروسوي في تفسيره: "قرأ حفص عن عاصم بل بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع، ويبتدئ ران، وقرأ الباقون بإدغام اللام في الراء، ومنهم حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، يميلون فتحة الراء. قال بعض المفسرين: هرب حفص من اجتماع ثقلتي الراء المفخمة والإدغام ... فالوجه أنه إنما سكت حفص على لام بل ران، وكذا على نون من راق، خوف اشتباهه بتثنية البر، ومبالغة مراق حيث يصير بران ومراق وما موصولة، والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية، والمعنى ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة، بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي، حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق ".[2]

ويفهم من كلام البروسوي يبطل الأقاويل في تأويل السكت عند حفص عن عاصم، ويجيد في توجيه القراءة بلاغياً، شبه قلوبهم الممتلئة بالكفر والمعاصي كالصدأ في المرآة، وهذا التشبيه في غاية البيان؛ ليستقر في ذهن القارئ فيولد الحرص على اجتناب المعاصي؛ كي لا يصدأ القلب.

(1) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص365.

(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص373.

الفصل الرابع

البروسوي في ميزان النقد البلاغي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج البروسوي في تفسيره.

المبحث الثاني: تأثر البروسوي بالعلماء السابقين.

المبحث الأول

منهج البروسوي في تفسيره

يصعب الحديث عن منهج البروسوي في تفسيره روح البيان، إذ يضم الكتاب جوانب عديدة ومتنوعة في المعارف، فقد يتنقل المؤلف بين لغة، وبلاغة، ومواعظ وقصص مؤثرة، وتفسيرات صوفية، ويستطرد في شرحه، وتفسيره في مواطن متعددة، مما جعل تفسيره يطبع في عشرة مجلدات، وهذا الاستطراد ناجم عن كون التفسير في الأصل كان دروساً تلقى في الجامع، فنجده ينقل أموراً لا علاقة لها بالتفسير المباشر عند تفسيره لآيات الصيام. [1]

وأعتقد أن الكتاب يحتاج إلى من يحققه تحقيقاً علمياً، بالإضافة إلى التوسع في دراسة منهجه، ووضع فهارس تسهل التقاط ما تناثر فيه من قصص مفيدة، وحكم وعظية بليغة، ولكنني سأحاول أن أشير إلى شيء يسير من منهج المفسر من خلال النقاط التالية:-

أولاً : الناحية اللغوية :-

اهتم البروسوي بالجانب اللغوي من خلال بيانه لمعنى كل كلمة، وقد يوضح أصل اشتقاقها، ويشير إلى الفروق بين الكلمة ومرادفها وأثرها في السياق.

فعلى سبيل المثال نجده في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 106]

يقول البروسوي:"(إن كنت جئت بآية) أي من عند من أرسلك كما تدعيه (فائت بها) فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك، فإن الإتيان والمجيء، وإن كانا بمعنى واحد، إلا أن بينهما فرقاً من حيث أن المجيء يلاحظ فيه نقل الشيء من جانب المبدأ، والإتيان يلاحظ فيه إيصاله إلى المنتهى، فإن مبدأ المجيء هو جناب المرسل ومنتهى الإتيان هو المرسل إليه".[2]

يوضح الراغب الفرق بين المجيء والإتيان فرقاً آخر، حيث يقول الإتيان مجيء بسهولة. [3] ولكن المتأمل بمعنى الآية يجدها ملائمة للفرق الذي ذكره البروسوي.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص294-295.
(2) المصدر السابق، ج3، ص223-224.
(3) مفردات ألفاظ القرآن والدار الشامية، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط2، 1997م، مادة : (أ ت ى).

ومنه أيضا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

حيث قال: "والفرق بين الإنصات والسكوت،

أن الإنصات مأخوذ في مفهومه الاستماع والسكوت، فلا يقتصر في معناه على السكوت بخلاف السكوت".[1]

ويوضح لنا البقاعي وجه عطف الإنصات على الاستماع بقوله: ولما كان بعض الفهماء يسمع، وهو يتكلم أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدراً من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال: (فأنصتوا). [2]

إلى غير ذلك من أمثلة تفوق الحصر.

ثانيا: أسباب النزول :-

يكثر البروسوي من ذكر أسباب النزول، دون عزو إلى مصدر، فنجده مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: 14].

فيقول: "روي أن عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضي الله عنهم فقال ابن أبيّ: انظروا كيف أرد هذه السفهاء عنكم، فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر ﷺ فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله ﷺ في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ... وأخبروه بذلك فنزلت الآية".[3]

ثالثا: الإسرائيليات :-

وهو يكثر منها كما يكثر من أسباب النزول، والذي يطلع على تفسير البروسوي يلاحظ أنه يرد في بعض الأحيان ما يقدح من تلك الإسرائيليات في الأنبياء، فنجده يسوق القصة المشهورة عن سليمان عليه السلام، ويرد منكراً لها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: 34].

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص 320.
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ج3، ص178.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص64.

قال: يقول الفقير: "أرشده الله القدير هذا، وإن كان مشهوراً محرراً خصوصاً في نظم بعض العرب والعجم، لكنه مما ينكر جداً ولا يصح قطعاً، وذلك لوجوه: أحدها أنه ليس في جلوس الجن على الكرسي معنى الإلقاء إلا أن يتكلف.

والثاني: أن جميع الأنبياء معصومون من أن يظهر شيطان بصورهم في النوم واليقظة، لئلا يشتبه الحق بالباطل؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام صور الاسم الهادي، ومظاهر صفة الهداية والشيطان مظهر الاسم المضل، والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان، فلا يجتمعان...(1)

رابعا: الجانب النحوي:-

يعرض البروسوي في بعض المواضع للإعراب لفهم المعنى على قدر الحاجة، ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: 217].

يقول في موضع المسجد الحرام أنه: "عطف على سبيل الله".(2)

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 217]

يقول :"وجاز الابتداء بالنكرة لأنها وصفته بفيه".(3)

وأرى أن الإحاطة بعلم النحو مهم لمن يريد أن يفسر كتاب الله تعالى.

خامسا: الناحية الفقهية:-

يفسر البروسوي الآيات التي تشتمل على الأحكام الفقهية بما يتناسب مع مذهب الإمام أبي حنيفة، لكونه حنفي المذهب، ولكنه لا يكثر من المسائل الفقهية، وإنما يأتي بها لبيان معنى الآية القرآنية، فنجده يستشهد لمذهبه بالآية التي يفسرها فيقول في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: 17].

" ولفظ الولدان يشهد لأبي حنيفة رحمه الله أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة لأن الجنة لا ولادة فيها".(4)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص37-38.
(2) المصدر السابق، ج1، ص336.
(3) المصدر السابق، ج1، ص336.
(4) المصدر السابق، ص320.

سادسا: القصص والمواعظ :-

يكثر المؤلف من القصص والمواعظ، وهذا يتلاءم مع كونه واعظاً، فلا يترك فرصة للوعظ إلا واستغلها، فالواعظ يستشهد لقوله بذكر القصص المؤثرة، لاستمالة قلوبهم، فيقول الكوثري معلقاً على هذا التفسير:"للوعاظ شغف كبير به، لما فيه من الحكايات المرققة للقلوب".(1)

فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]، يستغلها للوعظ فيقول:"ثم أن الله تعالى ندب الخلق إلى الرجوع بالائتمار بأمره، والانتهاء بنهيه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174].

فمن لم يرجع إليه اختياراً رجعوا إليه بالموت والبعث، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57].

ومن رجع إليه في الدنيا بفعله، وحقق ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

كان رجوعه إليه بالكرامة، ويخاطب بقوله تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 27-28]. ثم ذكر قصة طويلة وأتبعها بمقولة لبعض العارفين".(2)

سابعاً : الناحية البلاغية :-

اهتم البروسوي بالدرس البلاغي، إذ لم يخرج في منهجه عن علماء التفسير الذين سبقوه، فكان يذكر الفنون البلاغية أثناء تعرضه لتفسير الآيات، وذلك بعد أن يبين الجوانب اللغوية والنحوية في الآيات.

والبحث لم يتناول إلا علم البيان، ولكن اهتم البروسوي بعلمي المعاني والبيان أكثر من اهتمامه بعلم البديع، فالبروسوي اعتمد في تفسيره على ملاحظة جانب البيان فيه، ليظهر

(1) مقالات الكوثري، ص483.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص70-71.

الإعجاز البياني حيث يقول: "أي سورة كائنة من مثل القرآن في البيان الغريب، وعلو الطبقة في حسن النظم".[1]

وهو في هذا التعبير مستفيد من الجرجاني، ونجده يتحدث عن الفصاحة ويفسرها بالبيان عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34].

أطلق لساناً بالبيان، قال بعض العارفين: مقام الفصاحة هو مقام الصمود والتمكين، الذي يقدر صاحبه أن يخبر عن الحق وأسراره بعبادة لا تكون ثقيلة في موازين العلم، وهذا حال نبينا محمد ﷺ حيث قال: أنا أفصح العرب: "وبعثت بجوامع الكلم".[2]

حقاً إن سيدنا محمد ﷺ أفصح بعجيب البيان، وأشرقت أنواره لمعرفة الواحد الديان، وذكر الفصاحة والبلاغة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

يقول: "أي حياة لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل إذا قتل لا يقدم على القتل، وإذا قتل فقتل ارتدع غيره فكان القصاص سبب حياة نفسين، أو أكثر وهو كلام في غاية الفصاحة والبلاغة، من حيث جعل الشيء محل ضده فإن ضدية شيء لآخر تستلزم أن يكون تحقق أحدهما رافعاً للآخر والقصاص، لاستلزامه ارتفاع الحياة ضد لها، وقد جعل ظرفاً لها تشبيهاً له بالظرف الحقيقي، من حيث إن المظروف إذا حواه الظرف لا يصيبه ما يخل به ويفسده، ولا هو يتفرق ويتلاشى بنفسه، كذلك القصاص يحمي الحياة من الآفات، فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف لها ولا شك فيه إذا جعل الضد حامياً لضده، اعتبار لطيف في غاية الحسن والغرابة التي هي من نكات البلاغة وطرقها".[3]

ويلاحظ من كلامه أنه يخوض في أسراره ودقائقه؛ ليثبت أن القرآن معجز ببلاغته وبيانه.

ومما يحسب للبروسوي أنه:

- يتعرض أحياناً لتعريف بعض فنون البلاغة التشبيه المركب، والتعريض، الكناية، وقد مضى الحديث عن ذلك في ثنايا البحث.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص81.
(2) المصدر السابق، ج6، ص431.
(3) المصدر السابق، ج1، ص288.

- نجده يفصل ويشرح الوجه البلاغي تارة، وتارة أخرى يختصر الإشارات البلاغية، وفي اختصاره مستفيد من أبي السعود كما سيأتي في المبحث الثاني.

ومما يؤخذ عليه :-

- يناقض نفسه في تفسيره لبعض الآيات؛ فمثلاً يقول عند قول الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184]

يقول: " أوعلى سفر، أو راكب السفر استعلاء الراكب المركوب؛ بل هو ملابس شيئاً من السفر، والرخصة إنما أثبتت لمن كان على سفر، وكلمة على فيها استعارة تبعية، شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب، واستيلائه على المركوب يتصرف فيه كيف يشاء، وللدلالة على هذا المعنى عدل عن اسم الفاعل، فلم يقل أو مسافراً إذ ليس فيه إشارة بالاستيلاء على السفر".[1]

بينما يقول في آية مشابهة: "وعلى بمعنى في، وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض".[2]

ثامنا: تضمين نقولات فارسية :-

وقد أكثر البروسوي في تضمنيه للنقولات الفارسية، ولم يذكر أن للبروسوي أصولاً فارسية، أو أنه رحل إلى بلاد فارس، وأنه يجيد الفارسية في حدود ما توفر لدي من مصادر ومراجع تختص بحياته.

وهذه أهم النقاط التي اتبعها البروسوي في منهجه أثناء تفسيره.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص292.
(2) المصدر السابق، ج1، ص259.

المبحث الثاني

تأثر البروسوي بالعلماء السابقين

اعتمد الكثير من العلماء في تفسير القرآن الكريم على ملاحظة جانب البيان، وفسروا المعاني القرآنية عليه؛ لأنه علم يستولي على استخراج حقائق الإعجاز البياني في القرآن، ولم يهتم بإحرازه من العلماء إلا واحد بعد واحد، فلا يمكن لأحد أن يبحر في مجال التفسير، ويقول فيه برأيه دون الرجوع إلى السنة النبوية المفسرة للقرآن الكريم، ومن بعده صحابته، ومن ثم العلماء، والمحدثين، والفقهاء، وأهل اللغة والبلاغة وغيرهم، وهذا ما حدث مع عالمنا رحمة الله عليه، قد اطلع على نتاج من سبقه، مضيفاً ثقافته وخبراته، فتنوعت الكتب التي تأثر بها البروسوي ونقل عنها، ونص على كثير من تلك الكتب، فضلاً عمن تأثر بهم ونقل عنهم دون تنصيص على اسم الكتاب.

وسأقتصر في حديثي هنا على المصادر البلاغية أو التفسيرية التي اهتمت بالناحية البلاغية دون غيرها، وذلك لأن البحث يتعلق بدراسة الصور البيانية في تفسير روح البيان، وليس الهدف منه دراسة منهج المؤلف بالدرجة الأولى.

وقد تأثر البروسوي بكثير من العلماء الذين سبقوه، وسأذكر هنا ثلاثة ممن تأثر بهم على سبيل التمثيل لا الحصر وهم :-

أولاً: أبو السعود:-

مؤلف كتاب "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" والذي يعرف بتفسير أبي السعود، ومؤلف هذا الكتاب حنفي المذهب كالمؤلف [1]، ثم إنه تركي أيضاً[2]، بل قد تقلد قضاء بروسة[3]،

وهذا التأثر كان مفيداً للمؤلف، لأن تفسير أبي السعود حوى خلاصات لأساطين البلاغة القرآنية الذين سبقوه مع اختصار في العبارة. [4]

---

(1) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط2 ، 1976م ، ج1، ص345.
(2) انظر ترجمة أبي السعود في : الأعلام للزركلي.
(3) المصدر السابق.
(4) انظر التفسير والمفسرون، ج1، ص347-349.

- وتأثر المؤلف بأبي السعود واضح، وقد ينقل عبارته دون تغيير، فعند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28].

يقول: "والفاء للدلالة على التعقيب؛ فإن الإحياء حاصل إثر كونهم أمواتاً، وإن توارد عليهم في تلك الحالة أطوار مترتبة بعضها متراخٍ عن بعض كما أشير عليه آنفا".(1)

وهذه هي عبارة أبي السعود بالنص.(2)

- وقوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83].

يقول أبو السعود في تفسير الآية: "إشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل: تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها".(3)

ويقول البروسوي: "إشارة تعظيم كأنه قيل: تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها".(4)

وبمقارنة النصين نجد درجة التأثر حيث نقل كلام أبي السعود نقلاً حرفياً، لكنه لم يصرح باسمه أو كتابه.

وبمقارنة النصين السابقين نلاحظ الاتفاق بينهما في فائدة التعريف.

- وقد تأثر البروسوي بأبي السعود تأثراً بالغاً في الالتفات، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: 27].

يقول أبو السعود في توضيح الالتفات في الآية: "أي بذلك الماء، والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المبني عن كمال القدرة والحكمة".(5)

---

(1) تفسير روح البيان، ج1، ص92.
(2) المصدر السابق، ج1، ص134.
(3) تفسير أبي السعود، ج4، ص322.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص467.
(5) تفسير أبي السعود، ج4، ص481.

وقد نقل البروسوي هذا القول مع تغيير خفيف في الألفاظ، ولم يصرح باسمه، حيث يقول: "والالتفات من الغيبة إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بفعل الإخراج، لما فيه من الصنع البديع المبني عن كمال القدرة والحكمة، ولأن الرجوع إلى نون العظمة أهيب في العبارة".(1)

- وتأثر البروسوي بأبي السعود في المجاز المرسل وعلاقته، باعتبار ما كان، أو اعتبار ما يكون، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 232].

يقول أبو السعود: "فأزواجهن إن أريد بهم المطلقون، فالزوجية إما باعتبار ما كان، وإما باعتبار ما يكون، وإلا فاعتبار الأخير".(2)

والبروسوي تأثر بذلك حيث نقله حرفياً يقول: "(أزواجهن) إن أريد بهم المطلقون، فالزوجية إما باعتبار ما كان، وإلا فبالاعتبار الأخير على معنى أن ينكحن أنفسهن ممن شئن أن يكونوا أزواجاً لهن".(3)

وبالمقارنة بين النصين نلاحظ درجة التأثر؛ حيث نقل كلام أبي السعود مع إضافة طفيفة في المعنى، لكنه لم يصرح باسمه أو بكتابه.

- وتأثر البروسوي بأبي السعود في مسألة بلاغية لم يذكرها، وهي تغليب الجمع على المفرد قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 39]

يقول أبو السعود: "كان المنادي جبريل عليه السلام، كما تفصح عنه قراءة من قرأ (فناداه جبريل) والجمع كما في قوله: فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس".(4)

يقول البروسوي في تفسير هذه الآية: "(فنادته الملائكة) أي جبريل وحكم الواحد من الجنس، قد ينسب إلى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل، وإنما يركب واحداً من أفرادها، ولما كان جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له".(5)

(1) تفسير روح البيان، ج7، ص340.
(2) تفسير أبي السعود، ج1، ص354.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص366.
(4) تفسير أبي السعود، ج1، ص474.
(5) روح البيان في تفسير القرآن، ج2، ص32.

يلاحظ بين النصين أن البروسوي نقل كلام أبي السعود مع شيء من التحوير والتبديل.

- نقل البروسوي نقلاً تاماً من أبي السعود من خلال تفسيره الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

يقول البروسوي في (ويقتلون فيقتلون) قال في الإرشاد: "هو بيان لكون القتل في سبيل الله بذلاً للنفس، وأن المقاتل في سبيله باذل لها، وإن كانت سالمة غانمة، فإن الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما، ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة، بل بطريق وصف الكل بحال البعض، فإنه يتحقق القتال من الكل سواء وحد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك، وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضاً، كما إذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين، أو لم توجد المضاربة أيضاً، فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية؛ للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس".(1)

ويفهم مما سبق تأثر البروسوي بأبي السعود في المجاز المرسل، وعلاقته الجزئية وبيان أهمية التقديم بلاغياً.

- وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

يقول البروسوي: "(إنما يخشى الله من عباده العلماء) وفي الإرشاد وهو تكملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر:18].

تبيين من يخشاه من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم، وتباين مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل، وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح، توفية لكل واحدة منها حقها اللائق بها من البيان، أي: إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة، وأفعاله الجميلة، لما أن مدار الخشية معرفة المخشي، والعلم بشئونه، فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه كما قال عليه السلام (أنا أخشاكم لله وأتقاكم له) ولذلك

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج3، ص537، وقارن بتفسير أبي السعود، ج2، ص608-609.

عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة اقتنع إنذارهم بالكلية".[1]

وينقل البروسوي هذا النص عن أبي السعود مصرحاً باسم كتابه، ويصف أن الآية تضمنت حسن السياق، وازداد حسناً بوضوحه، على سبيل التمثيل، يعنى جعل الأوصاف المعنوية أي يجلهم ويعظمهم، كما يعظم المهيب من الرجال بين الناس.

- ومن صور التأثر بأبي السعود في الغرض البلاغي التي يخرج إليه الاستفهام وهو الإنكار في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 28].

يقول البروسوي: "لأنتم داخل تحت الاستفهام الإنكاري كما في الإرشاد أي: تخافون مماليككم أن يستقلوا وينفردوا بالتصرف فيه".[2]

- وقد تأثر البروسوي بأبي السعود في مسألة من مسائل علم المعاني، وهي التقديم والتأخير؛ حيث نقل كلام أبي السعود دون أن يشير إليه، أو اسم كتابه، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:87].

يقول أبو السعود: "(وفريقاً تقتلون) وتقديم فريقاً في الموصوفين، للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر".[3]

ويقول البروسوي: "وقدم فريقاً في الموصوفين للاهتمام وتشويق السامع إلى مافعلوا بهم، لا للقصر".[4]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص342، وقارن بتفسير أبي السعود، ج4، ص482-483.
(2) المصدر السابق، ج7، ص30، وانظر بتفسير أبي السعود، ج4، ص361
(3) تفسير أبي السعود، ج1، ص211.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص179.

- وكذلك تأثره في مسألة التكرار الذي يدل على غرض بلاغي وهو التأكيد؛ ليتمكن الشيء في النفس، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 91].

يقول أبو السعود: "(إن كنتم مؤمنين) تكرير للاعتراض؛ لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد".(1)

ويقول البروسوي: "وهو تكرير للاعتراض؛ لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد".(2)

نلاحظ هنا أن البروسوي نقل عن أبي السعود نقلاً حرفياً، دون أن يصرح باسم كتابه، وهذا دلالة على مدى قوة التأثر به.

- ويتضح مدى تأثره في غرض من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر، وهو التوبيخ والإهانة، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93].

يقول أبو السعود: "(قل) توبيخاً لحاضري اليهود إثر ما تبين أحوال رؤسائهم الذين يقتدون في كل ما يأتون ويذرون".(3)

ويقول البروسوي: "(قل) توبيخاً لحاضري اليهود إثر ما تبين أحوال رؤسائهم الذين يقتدون في كل ما يأتون ويذرون".(4)

- ومنه أيضاً تأثره في الغرض البلاغي الذي يدل على الإهانة والتحقير، في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49].

يقول البروسوي: " أي: وقولوا له ذلك استهزاء به، وتقريعاً له على ما كان يزعمه من أنه عزيز كريم، فمعناه: الذليل المهان، روي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبلي مكة

---

(1) تفسير أبي السعود، ج1، ص215.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص148.
(3) تفسير أبي السعود، ج1، ص217.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص185.

أعز وأكرم مني، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، فوردت الآية وعيداً له ولأمثاله".[1] وهذه عبارة أبي السعود بالنص.[2]

- وأيضاً تظهر قوة تأثره في توضيح صورة من الصور البيانية، في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 95].

يقول أبو السعود: "(بما قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار، كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن، وتحريف التوراة، ولما كانت اليد من جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه، ومدار أكثر منافعه، عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة".[3]

وهذه العبارة نقلها البروسوي حرفياً بالنص.[4] وفيه إثبات تأثر البروسوي به واطلاعه على تفسيره وأخذه عنه.

وكذلك تأثر في صورة من الصور البيانية، في قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: 151].

يقول أبو السعود: "استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لامتثال الأمر وارتسامه، أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً".[5]

يقول البروسوي: "فشبه الامتثال بالطاعة، من حيث إن كل واحد منهما يفضي إلى الوجود والمأمور به، فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة، وأريد الامتثال أي لا تمتثلوا لأمرهم".[6]

يورد البروسوي الصورة البيانية على سبيل الاستعارة التصريحية، بحذف المشبه (الامتثال) واطلاق المشبه به (الطاعة) متأثراً بتفسير أبي السعود.

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215].

يقول أبو السعود: "أي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر، فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه".[7]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج8، ص475.
(2) تفسير أبي السعود، ج5، ص107.
(3) المصدر السابق، ج1، ص218.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص186.
(5) تفسير أبي السعود، ج4، ص228.
(6) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص318.
(7) تفسير أبي السعود، ج4 ص237.

ويقول البروسوي: "وجناح العسكر جانباه وهو مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط، فشبه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه".[1]

يتضح تأثر البروسوي لأنه نقل مضمون أبي السعود، ولكن البروسوي أجاد في شرحه وتفصيله للصورة البيانية بمعان تقرِّبها في ذهن القارئ.

- ويظهر لي من خلال قراءتي لتفسير الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: 17]

مدى التأثر الواضح بأبي السعود، حيث يقول أبو السعود في تفسيره للآية:"(شيباً) شيوخاً جمع أشيب، إما حقيقة، أو تمثيلاً، وأصله أن الهرم والأحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه، وأسرع فيه الشيب، وقد جوز أن يكون ذلك وصفاً لليوم بالطول، وليس بذلك".[2]

يفهم من تفسير أبي السعود أنه فسر الآية بثلاثة وجوه وهم: إما حقيقة، أو تمثيلاً، أو كناية بوصفه لليوم بالطول.

وهذا يتوافق مع تفسير البروسوي والزمخشري للآية الكريمة حيث يقول:"وجعلهم شيوخاً فيه وجوه؛ الأول: أنه محمول على الحقيقة، كما ذهب إليه بعض أهل التفسير، ويؤيده ما قال في (الكشاف)...، والثاني: أنه محمول على التمثيل بأن شبه اليوم في شدة هوله بالزمان الذي يشيب الشبان لكثرة همومه وأهواله، وأصله أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب...، والثالث: أنه يجوز ذلك وصفاً لليوم بالطول، يعنى على الكناية بأنه في طوله، بحيث يبلغ الأطفال فيه وأن الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضي بعد، بل يمتد إلى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة، فهو كناية عن غاية الطول".[3]

نلاحظ أن البروسوي تأثر بأبي السعود بشكل غير مباشر بدون ذكر اسم كتابه، وتأثر بالزمخشري بشكل مباشر؛ لأنه صرح باسم كتابه الكشاف، والذي يتأمل النصين يجد أن أبا السعود يفسر بإيجاز بينما البروسوي يستطرد في تفسيره ويفصل تفصيلاً مبيناً.

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص333.
(2) تفسير أبي السعود، ج5، ص415.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص218-219.

- ونرى البروسوي في مواطن أخرى يصرح باسم أبي السعود واسم كتابه؛ ليوضح الغرض البلاغي من الاستفهام، وهو الإنكار، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَآ آمَنَ النَّاسُ قَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

يقول البروسوي مؤيداً قول أبي السعود: "(أنؤمن كما آمن السفهاء) قلنا فيه أقوال...، والثالث قول أبي السعود في (الإرشاد). حيث قال هذا القول، وإن صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جواباً عن نصيحتهم، لكن لا يقتضي كونهم مجاهرين لا منافقين، فإنه ضرب من الكفر أنيق، وفن في النفاق عريق؛ لأنه محتمل للشر كما ذكر في تفسيره، وللخير كما يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس، وإنكار ما اهتموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتماد بإيمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لإرادة المعنى الأخير".(1)

ثانياً: أبو الليث بن محمد السمرقندي :-

هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، إمام وفقيه ومحدث زاهد له مجموعة من المصنفات من ضمنها تفسيره بحر العلوم، توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة. (2)

وقد تأثر البروسوي بأبي الليث في تفسيره لبعض الآيات القرآنية منها :-

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2].

يقول البروسوي: "العلة على التشبيه والاستعارة، وقال في (بحر العلوم) لعل مستعار لمعنى الإرادة؛ لتلاحظ العرب معناه أو معنى الترجي، أي أنزلنا قرآناً عربياً إرادة أن تعقله العرب ويفهموا منه ما يدعوهم إليه".(3)

فقد فسرها صاحب بحر العلوم (لعلكم) على سبيل الاستعارة التبعية، وهذا يدل على تأثر البروسوي به؛ لأنه قال العلة على التشبيه والاستعارة وذلك يؤيد قول بحر العلوم.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن ج1، ص62، وقارن القول في تفسير أبي السعود، ج1، ص78-79.

(2) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م و ج12، ص333.

(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص222، وقارن هذا القول في بحر العلوم، ج2، ص178.

- وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22].

يقول البروسوي:" (السماء بناء) قبة مضروبة عليكم، وكل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة، والسماء الدنيا ملتزمة أطرافها على الأرض كما في تفسير أبي الليث".(1)

نلاحظ أن البروسوي ينقل قول أبي الليث نقلاً حرفياً، ويذكر اسمه، في توضيح الصور البيانية وهي التشبيه.

- وانظر إلى تفسير البروسوي، تعرف أنه قد تأثر بالتفاسير التي تعتمد على ملاحظة جانب البيان، والفصاحة، والبلاغة، كأبي الليث، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21].

يقول البروسوي: "يقول للكفار وحدوا ربكم، ويقول للعاصين أطيعوا ربكم، ويقول للمنافقين أخلصوا بالتوحيد معرفة ربكم، ويقول للمطيعين أثبتوا على طاعة ربكم، واللفظ يحتمل لهذه الوجوه وهو من جوامع الكلم كما في تفسير ابي الليث".(2)

ومن خلال هذا النص نلاحظ أن كلاً من السمرقندي والبروسوي قد أحاطا علماً بالفصاحة والبيان؛ لأنهما من المفسرين الذين يفسرون الألفاظ القرآنية رغبة في معرفة الإعجاز البياني، من خلال الوقوف على الألفاظ التي اشتملت على الفصاحة والبيان.

- ومن صور التأثر بأبي الليث في المجاز قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]

يقول البروسوي: "وقسم نصب عليه دليل كالصانع، وصفاته، والنبوات، وما يتعلق بها من الأحكام، والشرائع، واليوم الآخر، وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء، وهو المراد ههنا. فالباء صلة الإيمان إما بتضمنه معنى الاعتراف، أو بجعله مجازاً عن الوثوق، وهو واقع موقع المفعول به، وإن جعلت الغيب مصدراً على حالة كالغيبة، فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل، أي: يؤمنون ملتبسين بالغيبة".(3)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص78.

(2) المصدر السابق، ج1، ص77، وقارن في بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق د. محمد مطرجي ، دار الفكر بيروت، ج1، ص33.

(3) المصدر السابق، ج1، ص35.

- وكما أورد البروسوي في تفسيره رأي السمرقندي صاحب بحر العلوم في توضيح الصور البيانية، في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

يقول البروسوي: "(ينسلون) ينزلون مسرعين، وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع، وفي (بحر العلوم) من نسل الذئب إذا أسرع في مشيه".(1)

- ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: 43].

يقول البروسوي:"(خاشعة أبصارهم) قال أبو الليث: وذلك أن المسلمين إذا رفعوا رؤوسهم من السجود، صارت بيضاء كالثلج، فلما نظر إليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود، حزنوا واغتموا، واسودت وجوههم، كما قال تعالى (ترهقهم ذلة) وتغشاهم فإن الرهق غشيان الشيء بالشيء".(2)

ومن المسائل البلاغية التي تأثر بها البروسوي بأبي الليث في علم المعاني:-

1- التقديم والتأخير :-

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الشعراء:96].

قال البروسوي: "قال أبو الليث: ومعناه قالوا، وهم يختصمون فيها على معنى التقديم".(3)

2- التغليب:-

في قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14].

يقول البروسوي: "(ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يجحدون بإشراككم لهم وبعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، وإنما جيء بضمير العقلاء؛ لأن عبدتهم كانوا يصفونها بالتمييز جهلاً وغباوة، ولأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة، والسمع ويجوز أن

(1) روح البيان في تفسير القرآن ج5، ص529.
(2) المصدر السابق، ج10، ص123.
(3) المصدر السابق، ج6، ص308، وقارن بحر العلوم، ج2، 560.

يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأصنام فغلب غير الأصنام عليها كما في بحر العلوم".[1]

فقد فسرها صاحب بحر العلوم بشرككم إنما جيء بضمير العقلاء وهم يعبدون الأصنام التي لا تضر ولا تنفع من طريق باب التغليب العاقل على غير العاقل.

3- الغرض البلاغي الذي يخرج عليه الاستفهام وهو الإنكار والتعجب:-

في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]

يقول البروسوي: "الاستفهام إنكاري، لا بمعنى إنكار الوقوع، بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجب منه؛ لأن التعجب من الله يكون على وجه التعجيب، والتعجيب هو أن يدعو إلى التعجب وكأنه يقول: ألا تتعجبون أنهم يكفرون بالله كما في تفسير أبي الليث".[2]

ثالثاً: جار الله الزمخشري :-

وهو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم).

وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها، أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و(المفصل) وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة.[3]

- يعد الزمخشري أحد علماء البلاغة والتفسير الأوائل، وتفسيره الكشاف من التفاسير المهمة التي اعتمد عليها البروسوي، وما أكثر ما أشار إليه في تفسيره، فعند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص331.

(2) روح البيان، ج1، ص92. وقارن في بحر العلوم، ج1، ص38.

(3) انظر ترجمة الأعلام، ج7، ص178، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص168، وانظر المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق : د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ط1، ج1، ص47، طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص14.

قال البروسوي:" قال في الكشاف: فإن قلت كيف قيل لهم أموات حال كونهم جماداً، وإنما يقال ميت فيما تصح منه الحياة من البُنى، قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة لقوله تعالى :"بلدة ميتا".(1)

ومن الصور البيانية التي تأثر بها البروسوي بالزمخشري، التشبيه وتحديد نوعه وهو التشبيه المركب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

يقول الزمخشري: "هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه".(2)

ويقول البروسوي: "واعلم أن التشبيه الواقع في هذه الآية تشبيه مركب، وإن دخل الكاف على المفرد، وهو الماء؛ لأنه شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة وبهائها وسرعة انقضائها بعد اغترار الناس، بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الأرض ونضارتها وانعدامها عقبها بآفة سماوية ومشيئة إلهية".(3)

يلاحظ أن البروسوي متأثر بكلام الزمخشري، لكنه يوضح التشبيه المركب بصورة أفضل من الزمخشري، فقد تفوق في شرحه لهذه الصورة البيانية، وتحليله للصور المتعددة في التشبيه.

- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 27].

"جزاء السيئة بمثلها" يقول البروسوي: "قال في الكشاف في هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل؛ لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله انتهى".(4)

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص 92، وقارن في الكشاف، ج1، ص249.
(2) تفسير الكشاف، ج3، ص129.
(3) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص38.
(4) المصدر السابق، ج4، ص43.

فهذا دلالة على تأثر البروسوي بالزمخشري تأثراً مباشراً من خلال تصريحه باسمه، ونقل كلامه حرفياً.

- وتأثره في المجاز العقلي في علاقته السببية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهَّ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26].

يقول الزمخشري: "وإسناد الضلال على الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب، لأن لما ضرب المثل، فضلّ به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم".(1)

يقول البروسوي في تفسيره للآية: "أي يخذل بهذا المثل والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل وإسناد الإضلال أي خلق الضلال إليه سبحانه مبني على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم".(2)

والملاحظ هنا تأثر البروسوي بالزمخشري تأثراً في المعنى دون التصريح باسمه أو بكتابه.

- ومن الصور البيانية التي تأثر بها البروسوي بالزمخشري الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88].

قال الزمخشري: "(غلف) جمع أغلف، أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن".(3)

ونقل البروسوي هذا القول في تفسيره يقول: "(قلوبنا غلف) جمع أغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن، أي: مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه".(4)

بمقارنة النصين فإننا لا نحتاج إلى تأمل لملاحظة درجة التأثر من البروسوي بالزمخشري.

- وكذلك قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهَّ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 30]

(1) الكشاف، ج2، ص245.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج2 و ص90.
(3) الكشاف، ج1، ص294.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص180.

يقول الزمخشري: "في ذلك المقام، وفي ذلك الموقف، أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان".[1]

يقول البروسوي: "هنالك ظرف مكان أي: في ذلك المقام الدهش، أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان".[2]

وبالنظر إلى النصين نلاحظ نقلاً مشابهاً من البروسوي لقول الزمخشري في جعل استعارة اسم المكان للزمان.

- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: "فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهو عمر بن عبد العزيز، ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم، كم يجل المهيب المخشي في الرجال بين الناس من بين جميع عباده".[3]

ويقول البروسوي: "وقرأ أبو حنيفة، وعمر بن عبد العزيز، وابن سيرين برفع اسم الله، ونصب العلماء على أن الخشية استعارة للتعظيم، فإن المعظم يكون مهيباً، فالمعنى إنما يعظمهم الله من بين جميع عباده، كما يعظم المهيب المخشي من الرجال بين الناس".[4]

وبمقارنة النصين فإننا نجد مدى تأثر البروسوي بالزمخشري من خلال نقل كلامه دون ذكر اسم كتابه.

- وتأثر البروسوي بالزمخشري في لون من ألوان البيان، وهو الكناية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27].

يقول الزمخشري: "عض اليدين، والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم، وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة، لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على

(1) الكشاف، ج3، ص134.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج4، ص45.
(3) الكشاف، ج5، ص154.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج7، ص342-343.

المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عن لفظ المكني عنه".(1)

ويقول البروسوي: "وكذا عض الأنامل، وأكل البنان، وحرق الأسنان، ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها".(2)

بمقارنة القولين، أن البروسوي ينقل نقلاً تاماً من الزمخشري لكونه ذكر نفس الأمثلة التي ذكرها الزمخشري، وبيَّن سبب اختياره للأمثلة لأنها من روادفها في المعنى.

- وقد يوجه كلا من البروسوي والزمخشري المعنى توجيهاً، يؤدي إلى المشاكلة، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

يقول الزمخشري في قوله تعالى: (الذي بيده عقدة النكاح) الولي يعني: إلا أن تعفوا المطلقات عن أزواجهن، فلا يطالبنهم بنصف المهر... ويعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي، وقيل: هو الزوج، وعفو وأن يسوق إليها المهر كاملاً، وهو مذهب أبي حنيفة، والأول ظاهر الصحة، وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال: كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها، أو سماه عفواً على طريق المشاكلة".(3)

أما البروسوي يقول: "(الذي بيده عقدة النكاح) أي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه من نصف المهر، الذي ساقه إليها كملاً على ما هو المعتاد تكرماً، فإن ترك حقه عليها عفواً بلا شبهه، فالمراد بقوله الذي بيده عقدة النكاح الزوج لا الولي، والمراد بعفوه أن يعطيها الصداق كاملاً النصف الواجب عليه، والنصف الساقط العائد إليه بالتنصيف، وتسمية الزيادة على الحق عفواً لما كان الغالب عندهم أن يسوق الزوج إليها كل المهر عند التزوج، فإذا طلقها قبل الدخول فقد استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها".(4)

(1) الكشاف، ج4، ص345.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج6، ص219.
(3) الكشاف، ج1. ص463-464.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص376.

بمقارنة النصين نلاحظ الخلاف بين الزمخشري والبروسوي، فالزمخشري يرجح الرأي القائل بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، والبروسوي رجح الزوج لا الولي.

فالزمخشري يرى أن ترك المطالبة بالنصف قد عفا وهذا يتفق مع كلام البروسوي اتفاقاً تاماً، إلا أن الزمخشري يضيف أو يكون تسمية العفو من باب المشاكلة.

- ويتضح تأثر البروسوي بالزمخشري من خلال مناقشته لآراء الزمخشري، ويعلق عليها في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 7-9].

يقول الزمخشري: "فإن قلت فأين جواب القسم؟ قلت: هو محذوف تقديره ليدمدمنَّ الله عليهم، أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحاً على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء".(1)

ويقول البروسوي :"(قد أفلح من زكاها) جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام... وإنما تركه الكشاف وغيره؛ لأنه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جواباً؛ لأن إقسام الله إنما يؤكد به الوعد، أو الظفر، وإدراك البغية، وهو دنيوي".(2)

بالنظر إلى النصين نلاحظ أن الزمخشري والبروسوي وضحا صورة من صور علم البديع، وهو الاستطراد، ولكن يتضح الخلاف بين الزمخشري والبروسوي في جواب القسم، فالزمخشري يوجب الحذف وقدر الجواب كذبت، وأما البروسوي لا يوجب الحذف؛ لأن الحذف لا يتلاءم مع طول الكلام، كما لا يتناسب جواب القسم (كذبت) مع القسم الله الذي يأتي لتأكيد الوعد، فالبروسوي قد أحسن في شرحه وتفسيره، وهو يخاطب العقل والفكر، مما يجعلنا نؤيد قوله السديد، وهذا الخلاف لا يمنع من دلالته على مدى تأثر البروسوي بالزمخشري في هذه المسألة البلاغية.

- وفي التنكير يتأثر البروسوي بالزمخشري دون التصريح باسم كتابه، يقول في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96]

يقول الزمخشري: "في تنكير كلمة (حياة) فإن قلت: لم قال: (على حياة) بالتنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة".(3)

(1) الكشاف، ج6، ص383.
(2) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص452.
(3) الكشاف، ج1، ص300.

ويقول البروسوي: "والتنكير للنوع وهي الحياة المخصوصة المتطاولة، وهي حياتهم التي هم فيها لأنها نوع من مطلق الحياة".(1)

وهنا يذكر البروسوي الغرض البلاغي من التنكير متأثراً بـرأي الزمخـشري، وهـو أراد بالتنكير حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة.

- ومن الصور البيانية التي تأثر بها البروسوي بالزمخشري المجاز المرسل علاقته الجزئيـة تأثراً مباشراً ذاكراً اسم كتابه الكشاف، يقول في تفـسير الآيـة الكريمـة: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16].

يقول البروسوي: "كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال، وذلك لأن الوجه أكرم موضع، والأنف أبين عضو منه، فالوسم على الأنف غاية الإذلال والإهانة؛ لأن الوسم على الوجه شين، فكيف إذا كان على أظهر موضع".(2)

والمراد هنا المجاز في قوله (الخرطوم) وهو الأنف وأراد الكل وهو الوجه.

- وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22].

يقول الزمخشري في تفسيره: "(أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم) أي: قائماً سالماً مـن العثور والخرور، أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحـرف هكـذا وهكذا على طريق مستو، ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف".(3)

ويقول البروسوي: "أي قائماً سالماً من الخبط والعثار، مستوى الأجزاء لا عـوج فيـه، ولا انحراف، وقيل المكب كناية عن الأعمى؛ لأنه لا يهتدى إلى الطريق فيعتسف".(4)

بمقارنة القولين: نلاحظ أن البروسوي ينسب القول في الآية، كناية عن الأعمى إلى مجهول بقوله (قيل)، ولعل ذلك المجهول هو الزمخشري، كما هو واضح من قوله، فيكون متـأثراً بذلك بقول الزمخشري.

---

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص187-188.
(2) المصدر السابق، ج10، ص113، قارن الكلام في كتاب الكشاف، ج6، ص184.
(3) الكشاف، ج6، ص176-177.
(4) روح البيان في تفسير القرآن، ج10، ص 94.

- ويظهر تأثر البروسوي بالزمخشري في توضيح صورة من صور البديع وهو الإيجاز، في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]

يقول البروسوي: "أي لما عجزتم عن معارضة القرآن ومثله لـزمتكم الحجة أن محمداً رسولي، والقرآن كتابي، ولزمكم تصديقه والإيمان به، ولما لم تؤمنوا صرتم من أهل النار فاتقوها، وفي الكشاف: لصيق اتقاء النار وصميمه ترك العناد، من حيث إنه من نتائجه؛ لأن من اتقى النار ترك المعاندة، فوضع فاتقوا النار موضع ما تركوا العناد".(1)

فهنا يذكر البروسوي أن (فاتقوا النار) فيعبر عن عجزهم بمعارضة القرآن، فخافوا نار جهنم، ويلزمهم تصديق القرآن، لئلا يعذبوا في نار جهنم على سبيل الإيجاز البديع.

- وجاء تأثر البروسوي بالزمخشري بمعنى بليغ يستقر في النفس، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 4]

يقول البروسوي: "قال في الكشاف: الإثخان كثرة القتل، والمبالغة فيه من قولهم: أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة، وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة".(2)

(1) روح البيان في تفسير القرآن، ج1، ص 82، قارن الكلام في كتاب الكشاف، ج1، ص224.
(2) المصدر السابق، ج8، ص556.

الخـــاتـــمـــة

بادئ ذي بدء أحمد الله العلي القدير أنْ وفقني لإتمام هذا العمل، الذي يبْحر في أعماق أشرف العلوم على الإطلاق، ألا وهو علم القرآن، ولقد سرَّ فؤادي، وقرت عيناي بما وجدته في القرآن الكريم من حسن البيان، والنظم القرآني، وبديع المعاني، ودقائق الإعجاز البلاغي.

لقد أيقنت من خلال دراستي لكتاب تفسير روح البيان للبروسوي أنه من الكتب التي يمكن الاعتماد عليها في التفسير البلاغي للقرآن الكريم.

وفي ضوء ما تناولته في هذه الدراسة، فقد توصلت إلى النتائج الآتية:

أولاً- النتائج:

1- يعد تفسير روح البيان جهدا بلاغيا جديدا يقدم إضافة علمية يوضع في المكتبة البلاغية العربية.

2- اهتم البروسوي بالدرس البلاغي، إذ لم يخرج في منهجه عن علماء التفسير الذين سبقوه.

3- اعتنى البروسوي بعلمي المعاني والبيان، أكثر من اهتمامه بعلم البديع، فاعتمد في تفسيره على ملاحظة جانب البيان فيه، ليظهر الإعجاز البياني.

4- البروسوي لم يولِ القراءات اهتماماً كثيراً في تفسيره، فقد أشار لشيء يسير من القراءات، وكشف عن بعض الوجوه البلاغية التي وردت فيها.

5- يعد تفسير روح البيان موسوعة ضخمة، لما اشتمل عليه من غزارة التفسير، والقصص اللطيفة المرققة للقلوب، وما أحصاه من الحكم الرائعة، والعظات البارعة، وما حواه من وجوه البيان، واللغة، والإعراب.

6- سلاسة أسلوبه في طرح القضايا البلاغية وهذا يمكّن غير المختصين من الاستفادة منه.

7- تأثر بالكثير من علماء البلاغة والتفسير من أمثال: سيبويه، وأبي السعود، والزمخشري، وأبي عبيدة، القرطبي، الزجاج، والسمرقندي، والرازي، والسيوطي.

ثانياً- التوصيات:

وفي ضوء النتائج السابقة، أضع التوصيات الآتية:

1- إن الدراسات البلاغية القرآنية، ما زالت بحاجة إلى دراسات متأنية لملاحظـــة جانــب الفصاحة والبيان في القرآن الكريم، فهو بحر غزير يحتاج إلى من يغوص في أعماقه، ليستخرج محاسن المعاني العميقة، والدرر المكنونة في ألفاظه البليغة، وتأويلاته الدقيقة التي ترتقي بالإنسان إلى درجة الإيمان واليقين بإعجاز كتاب الله تعالى.

2- تفسير روح البيان يحتاج إلى تحقيق من جهة ضبط النص، ووضع فهارس تسهل التقاط ما تناثر فيه من قصص مؤثرة، وحكم وعظية بليغة، خدمة لطالب العلـــم، وتحـــصيله للفائدة في أيسر طريق، وأسرع وقت.

قائمة المصادر المراجع

- القرآن الكريم.

1- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القاهر القط، مكتبة الشباب، 1978م.

2- أساس البلاغة، الزمخشري، مكتبة المشكاة الإسلامية.

3- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

4- أصول البيان العربي، د. محمد حسين الصغير، الشئون الثقافية العامة بالعراق.

5- إعراب القرآن، محي الدين درويش، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط9، 2005م.

6- الأعلام، الزركلي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

7- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن بير سليم اليباني، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، 1992م.

8- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت.

9- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، الفقيه الحنفي، تحقيق: محمد قطرجي ، دار الفكر، بيروت.

10- البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2003م.

11- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، طبعة عيسى الحلبي.

12- بغية الإيضاح، د. عبد العال الصعيدي، مكتبة الآداب.

13- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان)، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، 1982م.

14- البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، المكتبة العلمية، بيروت، ط11، 2002م.

15- البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط7، 2000م.

16- البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، 1977م.

17- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق: طاهر درويش جويري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2008م.

18- تأويل مشكل القرآن، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م.

19- التشبيه بين عبد القهار وابن الأثير، د. الكردي، طبعة السعادة.

20- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق.

21- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، مطبعة السعادة.

22- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، 1984م.

23- تفسير القرآن، للإمام عبد الرزاق بن هشام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الراشد، الرياض، ط1، 1989م.

24- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.

25- تفسير النيسابوري، الطبعة الأميرية.

26- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط2، 1976م.

27- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، تأليف الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، ج1، دار القلم، دمشق، ط1، 1988م.

28- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

29- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

30- حجة القراءات، أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

31- الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط3، 1979م.

32- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001م.

33- الخصائص ، ابن حقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

34- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط3، 1992م.

35- روح البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، ضبطه وصححه وخرّج آياته عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

36- زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط1، 2002م، بيروت – لبنان.

37- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ترجمة وتحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، 1905م.

38- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.

39- الصاحبي في فقه اللغة العربية، وسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، عاهد عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1997م.

40- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1993م.

41- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

42- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشربيني ثريدة، دار الحديث، القاهرة، 2010م.

43- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، تحقيق عبد الرحمن هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2003م.

44- علم البيان، د. بسيوني عبد الفتاح، مطبعة السعادة، مصر.

45- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1974م.

46- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف أبي الحسن علي بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.

47- عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة.

48- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، 2003مَ.

49- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان والبديع، ابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبي، القاهرة.

50- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، مصر، ط2، 3416م.

51- فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم، إعداد محمد سعيد اللحام، عالم الكتب، ط1، 1990م.

52- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، دار المنار، ط1، 1991م.

53- الكامل ، أبو العباس المبرد، تحقيق: الدكتور زكي مبارك، القاهرة، 1936م.

54- كتاب الصناعتين، للكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006م.

55- كتاب تلخيص المفتاح، تأليف الإمام العلامة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، طبع في بيروت، 1302هـ.

56- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: وتعليق ودراسة الشيخ أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.

57- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، العلامة المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطي الرومي الحنفي، المجلد الخامس، دار الفكر، بيروت، 1994م.

58- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1984.

59- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق : محمد محـي عبد الحميد، مطبعة البابابي، الحلبي وأولاده، مصر، 1939م.

60- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، المتوفى سنة 210هـ عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

61- المحرر الوجيز، ابن عطية، المجلس الأعلى للشئون.

62- معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

63- معترك الأقران، السيوطي، تحقيق: علي البخاري، دار الفكر العربي.

64- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إلياس سركيس، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1919م.

65- معجم المقاييس في اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1998م.

66- معجم لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 2003م، بيروت، لبنان.

67- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. همام عبد السيوطي، مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

68- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، تأليف محمد سالم محسين ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.

69- مفتاح العلوم، السكاكي، المطبعة الأدبية، القاهرة، 1317هـ.

70- مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر.

71- مفردات ألفاظ القرآن والدار الشامية، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط2، 1997م.

72- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، الشيخ محمد عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة ، دار القرآن، ط1، 2000م.

73- مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

74- المكتبة الأزهرية فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلى سنة 1364هـ، ج1.

75- من بلاغة القرآن، د. محمد شعبان علوان، د. نعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م.

76- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، 1992م.

77- موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، مقالة زغلول النجار، www.aldo3wa.org

78- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت.

79- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

80- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: البروفيسور: س أبو نباكر، مطبعة بريل لندن، 1956م.

81- النكت في إعجاز القرآن، أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، عني بتصحيحه الدكتور عبد العليم، مكتبة الجامعة الكلية الإسلامية، دهلي، 1934م.

82- نهاية الإيجاز في دارية الإعجاز، الرازي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م.

83- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، 1963م.

84- الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م.

85- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
آية	أ
إهداء	ب
شكر وعرفان	ج
ملخص الدراسة باللغة العربية	د
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	هـ
المقدمة	1
أسباب اختيار البحث	2
منهج البحث	2
خطة البحث	2
التمهيد	
اسمه ونسبه	5
مولده ورحلاته	5
مكانته العلمية ومؤلفاته	5
تفسيره وسبب تأليف	6
سبب تأليفه	6
عقيدته وتصوفه	7
الفصل الأول **البيان في اللغة العربية**	
المبحث الأول: ماهية البيان في اللغة العربية	9

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي	11
مفهوم الصورة البيانية	11
تطور الصورة البيانية في الدرس البلاغي والنقدي	12
المبحث الثالث: أهمية الصورة البيانية في التفسير القرآني	21
الفصل الثاني **منهج البروسوي في مسائل علم البيان**	
المبحـــث الأول: التشبيه	24
تعريف التشبيه	24
أركان التشبيه	25
تشبيه المحسوس بالمحسوس	26
تشبيه المعقول بالمعقول	33
تشبيه المحسوس بالمعقول	38
تشبيه المعقول بالمحسوس	40
أنواع التشبيه	46
أولا: التشبيه البليغ	46
ثانياً: التشبيه التمثيلي	51
ثالثاً: التشبيه المقلوب	59
رابعا : تشبيه المتعدد بالمتعدد	62
خامساً: التشبيه الضمني	66
أغراض التشبيه	68
المبحث الثاني: المجاز	74

الصفحة	الموضوع
74	تعريف المجاز
76	أقسام المجاز
112	المبحث الثالث: الاستعارة
112	تعريف الاستعارة
114	أنواع الاستعارة
132	أقسام الاستعارة
141	المبحث الرابع: الكناية
141	تعريف الكناية
146	أقسام الكناية
158	المبحث الخامس: التعريض
158	تعريف التعريض
	الفصل الثالث **توجيه القراءات القرآنية بلاغياً عند البروسوي،**
	الفصل الرابع **البروسوي في ميزان النقد البلاغي**
181	المبحث الأول: منهج البروسوي في تفسيره
181	أولاً : الناحية اللغوية
182	ثانيا: أسباب النزول
182	ثالثا: الإسرائيليات
183	رابعا: الجانب النحوي
183	خامسا: الناحية الفقهية

الموضوع	الصفحة
سادسا: القصص والمواعظ	184
سابعاً : الناحية البلاغية	184
ثامنا: تضمين نقولات فارسية	186
المبحث الثاني: تأثر البروسوي بالعلماء السابقين	187
أولاً: أبو السعود	187
ثانياً: أبو الليث بن محمد السمرقندي	195
ثالثاً: جار الله الزمخشري	198
الخاتمة	206
أولاً: النتائج	206
ثانياً: التوصيات	207
المصادر والمراجع	208
فهرس الموضوعات	214